الملك حمورابي
مجدد وحدة البلاد

د. فوزي رشيد



الموسوعة الذهبية

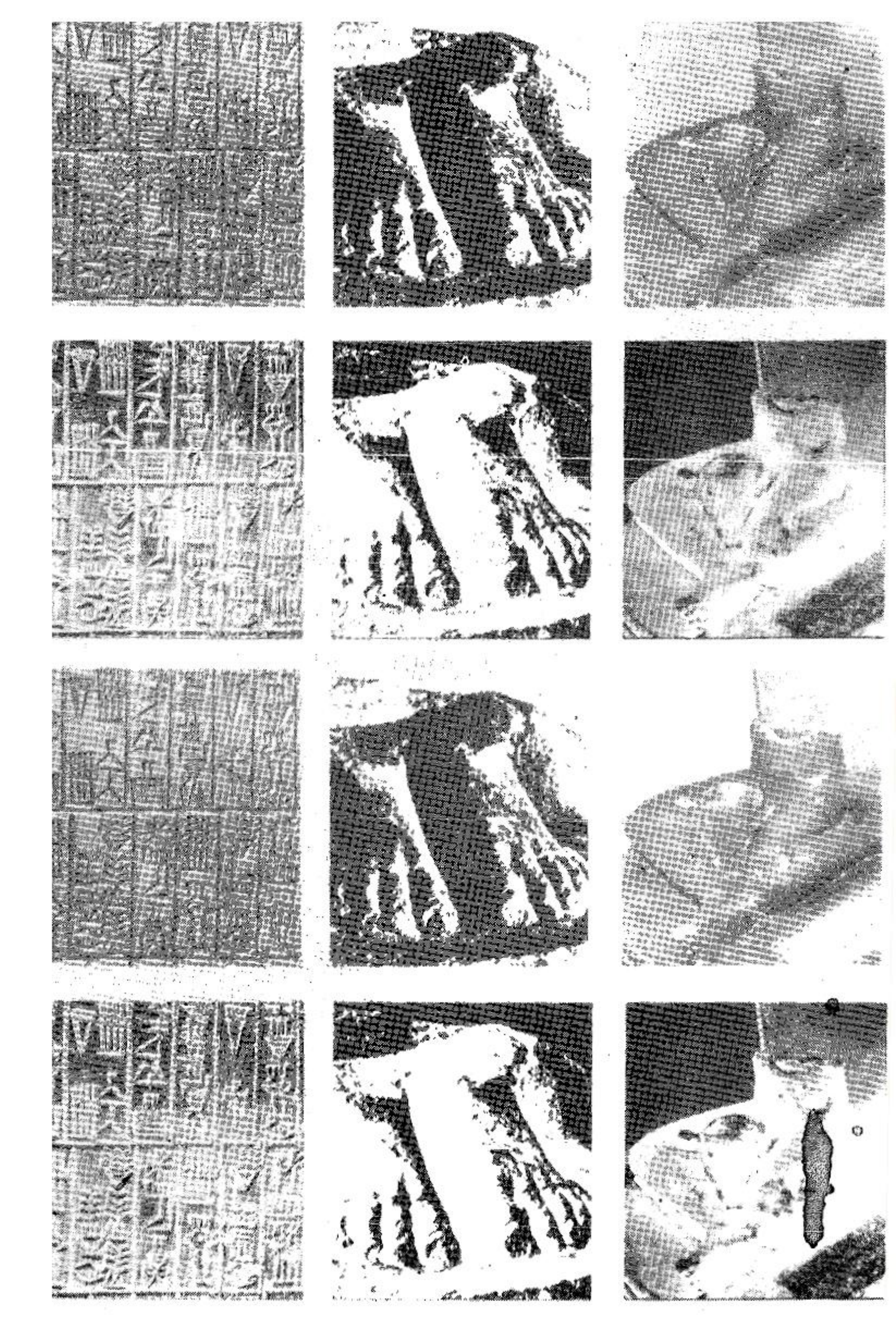
٥

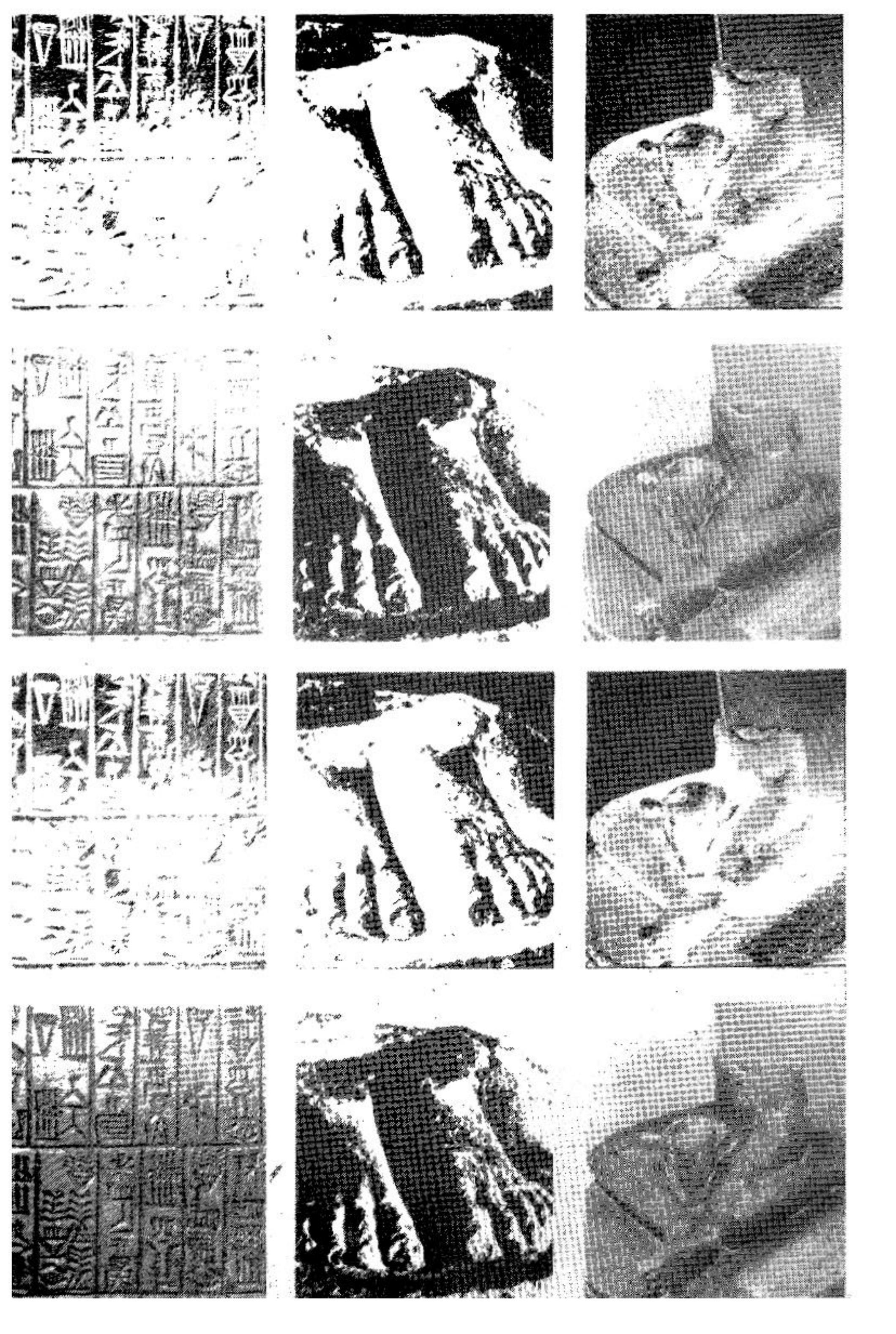
الملك حمورابي

د. فوزي رشيد

فريق التوثيق الألكتروني







الملك حمورابي
د. فوزي رشيد
الطبعة الاولى ١٩٩١

الناشر وزارة الثقافة والاعلام دار ثقافة الاطفال
العراق بغداد بريد ٨ شباط
ص.ب ٨٠٤١

الموسوعة الذهبية

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال

المدير العام: فاروق سلوم

سكرتير التحرير: فاروق يوسف


الملك حمورابي

المقدمة

مما لاشك فيه ان الملك حمورابي هو من اكثر ملوك العراق القديم شهرة بين جمهور غفير من المثقفين وغير المثقفين، وهذه الشهرة التي حصل عليها الملك المذكور قد جاءت لاعن طريق الاطلاع على كامل انجازاته بل عن طريق الشريعة التي سنها بعد اكماله وحدة البلاد.

وهـذا الكتاب سيحاول عرض اغلب انجازاته الاخرى، التي قد تفوق في اهميتها اهمية شريعته الشهيرة، فالملك حمورابي هو من اوائل الملوك الـذي استخـدم سياسـة الموازنة بين القوى المختلفة واستغلال الفـرص المنـاسبـة عندما كانت سلالته لاتزال عبارة عن مملكة صغيرة لايتجاوز قطرها على الثمانين كيلومتراً ومحاطة بخصوم اشداء وكثيري العدد، وقد تمكن بهذه السياسة الصائبة من تصفية خصومه الواحد بعد

الاخر وتكوينه الدولة الموحدة. وهذه الحقيقة لوحدها تجعل منه قائداً محنكاً وسياسياً بارعاً.

والملك حمورابي هو ايضاً من اوائل الملوك، الذي تمكن من فرض سيادة القانون حتى على التجمعات العشائرية وذلك باستخدامه مبدأ القصاص ضمن مواد شريعته، لان تطبيق مبدأ الغرامة مع مثل هذه التجمعات يكون امراً تعجيزياً بالنسبة لهم، بينما مبدأ القصاص ينسجم جداً ووضعهم الاقتصادي وينسجم ايضاً مع عاداتهم وتقاليدهم.

والملك حمـورابي هو ثاني ملك من بعد الملك سرجون الاكدي، الذي تمكن من تكوين مملكة قوية وموحدة، تضم العراق واجزاء مهمة من بلاد الشام واعالي مابين النهرين، وتمكن ايضاً من وضع الاسس والقواعد التي تتناسب وحكم مثل هذه المملكة الواسعة، حيث انه قد تفادى في اجراءاته كل النواقص التي برزت امام الملك سرجون عندما كون امبراطوريته. ومن اولى هذه السلبيات هو ان الملك سرجون لم يسن شريعـة يقضي بموجبها في جميع انحاء امبراطوريته بل اكتفى بتعيين القضاة من قبله في الولايات المختلفة، بينما الملك حمورابي سن شريعته التي تعتبر اكمل قانون انتجه العراق القديم لا بمواده القانونية فقط بل بلغته السليمة وخطها الانيق، وبذلك حافظ الملك حمورابي على سلامة اللغـة البابلية وعلى الشكل الرسمي للخط المسماري، لان المعلومات المتوفرة قد اكدت بان اللغة البابلية قد اخذت من قبل مجيء حمورابي الى الحكم تعاني من فقدان قواعدها وتأثرها باللهجات المحلية، ولهذا السبب بالذات يعتبر المتخصصون بالدراسات المسمارية اللغة المستخدمة في شريعة حمورابي على انها اللغة الفصحى، ولذلك اعتمدوا عليها في وضع قواعد اللغة الاكدية.

والملك حمورابي يكاد يكون اول ملك في التاريخ قام بتأميم مصادر

السلاح والغذاء والملابس ليضمن بذلك تمويل جيشه وشعبه من دون ان يؤثر على ذلك المحتكرون والمرابون، وفضلاً عن ذلك فقد تميز الملك حمورابي عن بقية الملوك باهتمامه البالغ بالاقتصاد الوطني وتوفير الحياة الطبيعية لغير المقاتلين اثناء الحروب، حيث اعفى عدداً كبيراً من اصحاب المهن الضرورية من الخدمة العسكرية مثل الخبازين والطحانين، واضافة الى ذلك فقد جدد المعابد وموّلها بالقرابين الضرورية اثناء فترات الحرب والسلم وشجعها على ممارسة طقوسها الدينية وبالاخص احتفالات عيد رأس السنة البابلية، وبهذه الاجراءات السليمة والمدروسة بعناية فائقة تمكن الملك حمورابي من تخفيف وطأة الحرب على السكان.

كل هذه الاجراءات الجديدة في فكرتها والمناسبة لظروفها ترفع حمورابي الى المرتبة التي تجعله واضعاً الاسس السليمة لحكم الدول الكبيرة والامبراطوريات، حيث ان الملوك الاشوريين الذين حكموا الامبراطورية الاشورية قد استفادوا من تجارب الملك حمورابي في هذا المجال وساروا على مداها طيلة حياة الامبراطورية الاشورية خلال العصر الاشوري الحديث.

وختاماً ارجو ان اكون موفقاً في عرض انجازات هذا الملك القدير والله ولي التوفيق.

الدكتور فوزي رشيد



الاموريون

لقد ورد اسم الاموريين في النصوص السومرية بصيغة «مارتو» وفي النصـوص البـابلية بصيغة «امورو» وكلا الصيغتين السومرية والبابلية تعنيان «الغـرب» وبـذلك يكون معنى اسم الاموريين هو الغربيون. وهذه الحقيقة لوحدها توضح لنا المنطقة التي جاء منها الاموريون الى بلاد وادي الـرافـدين وتؤكد ايضاً ان الاسم الذي يحملونه قد اطلقه عليهم سكان بلاد وادي الرافدين. ومن خلال الاوصاف التي وردت في النصوص المسمارية بخصوص الاموريين يبدو واضحاً انهم في الاصل كانوا البدو الرحل الذين يعيشون في بوادي بلاد الشام.

والمعلومات المتوفرة تؤكد ان الاموريين قد سيطروا في باديء امرهم على المناطق الساحلية من بلاد الشام منذ منتصف الالف الثالث قبل

الميلاد، حيث ان التحريات الاثرية والدراسات اللغوية قد اثبتت ان مدينة اريحا (الاسم القديم يريحو) هي مدينة ذات تسمية كنعانية وتعني «مدينة القمر» وكذلك الحال مع مدينة «مجدو» او «مجدون».

والكنعانيون كما هو معروف لايختلفون بشيء عن الاموريين، حيث ان اللغة الامورية كانت تسمىٰ باللهجة الكنعانية الشرقية والكنعانية تسمىٰ بالكنعانية الغربية او الفينيقية. والفرق بين الكنعانيين والاموريين راجع الى استيطان كل منهما في قسم خاص من بلاد الشام، فالاموريون تمركزوا باديء الامر في شمالي سوريا ولذلك تأثروا بحضارة بلاد وادي الرافدين.

اما الكنعانيون فقد استوطنوا السواحل ولذلك تأثروا بالحضارة المصرية اكثر من تأثرهم بالحضارة العراقية القديمة، اما الفينيقيون فهي التسمية التي اطلقها اليونانيون على الكنعانيين الذين استوطنوا السواحل اللبنانية والقسم الشمالي الفلسطيني، وبذلك يكون الاموريون والكنعانيون والفينيقيون من اصل واحد.

هذا وان النصوص السومرية قد بينت لنا ان موجة جديدة من الاموريين قد توجهت من بوادي بلاد الشام نحو بلاد وادي الرافدين في بداية حكم الملك شوسين ٢٠٣٦ ـ ٢٠٢٨ ق.م، رابع ملوك سلالة اور الثالثة ٢١١١ ـ ٢٠٠٣ ق.م، حيث ان تاريخ السنة الرابعة من حكم الملك المذكور قد بينت لنا ان شوسين قد قام ببناء سور لصد موجات الاموريين، وبداية هذا السور في موضع ما، مابين هيت وبحيرة الحبانية ونهايته عند الموضع المسمىٰ قنال «ابكلات» التي تقع مابين مدينتي بغداد والفلوجة.

وبهذا السور تمكن الملك شوسين من ايقاف موجات الاموريين لبضع سنوات، ولكن الاموريين تمكنوا في عام ٢٠٢٢ ق.م، اي في السنة الخامسة من حكم الملك ابي سين ٢٠٢٧ - ٢٠٠٣ ق.م، اخر ملوك سلالة اور الثالثة ٢١١١ - ٢٠٠٣ ق.م من اختراق السور المذكور والاستيلاء على المناطق المحصورة مابين بغداد والديوانية بشكل خاص. هذا وان الاموريين من قبل اقامتهم لسلالة بابل الاولى ١٨٩٤ - ١٥٩٤ ق.م، قد تمكنوا مع من تبقىٰ من الاكديين من اقامة السلالات التالية :-

ا - سلالة ايسن

في حدود السنة العاشرة من حكم الملك ابي سين ٢٠٢٧ - ٢٠٠٣ ق.م، اخر ملوك سلالة اور الثالثة ٢١١ - ٢٠٠٣ ق.م، تمكن حاكم مدينة ايسن المدعو «اشبي ايرا» ان يتحرر من سيادة سلالة اور الثالثة ويكون لنفسه سلالة عرفت باسم سلالة ايسن. وقد تمكن اشبي ايرا بالاضافة الى مدينة ايسن والاراضي التابعة لها من ان يضم مدناً اخرىٰ في مقدمتها مدينة اور من بعد ن طرد العيلاميين منها، ومدينة نفّر ومنطقة لكش والاجزاء الجنوبية من العراق ومن بينها سواحل الخليج العربي، وامتد نفوذها الى مدينة دلمون (البحرين) ايضاً، كما امتدت شمالاً الى منطقة سپار، وبهذا تكون سلالة ايسن قد سيطرت على نصف بلاد سومر واكد تقريباً، وبذلك انضوى من تبقىٰ من السومريين تحت لواء السلالة المذكورة، ولهذا السبب تعلق ملوك هذه السلالة بالثقافة السومرية، وسار الكثير منهم على حذو ملوك سلالة اور الثالثة في القابهم

واسلوب االحكم، وقـد تأله بعضهم على غرار ملوك السلالة المذكورة ونـظمت الـتراتيل في مديحهم، كما لقبوا أنفسهم بلقب « ملك اور، وملك سومر واكد»، وكانت اللغة السومرية اللغة الرسمية تقريباً لهم، حيث ان معظم كتاباتهم الملكية كانت مدونة باللغة المذكورة. ومما تجدر الاشـارة اليه هو ان كثيراً من القطع الادبية السومرية التي وجدث في مكتبـة مدينة نُفَّر قد الفت أو استنسخت في هذا العهد، وعلى اغلب الظن ان ذلك قد حدث بأمر من ملوك سلالة ايسن، ومما يرجح ذلك هو ان الملك لبت عشتار ١٩٣٤ ـ ١٩٢٤ ق.م، خامس ملوك هذه السلالة قد اصـدر شريعـة ودونها باللغة السومرية وفي زمن الملك لبت عشتار بالذات بدأت متاعب سلالة ايسن تبرز تدريجياً بسبب منافسة سلالة لارسا لها، حيث تمكن الملك الخامس من ملوك لارسا المدعو «كنكونوم» ١٩٣٢ ـ ١٩٠٦ ق.م من ان ينتزع من سلالة ايسن مناطق مهمة مثل مدينتي اور ولكش وادعىٰ الملوكية على بلاد سومر واكد.

وبعـد ذلك تمكن ملك اخر من سلالة لارسا ان ينتزع مدينة نُفَّر المقدسة من سيادة سلالة ايسن زمن ملكها المدعو «ايرا ـ ايميتي» ١٨٦٨ ـ ١٨٦١ ق.م. ومن الجدير ذكره بخصوص هذا الملك هو ان العادة في العراق القديم قد جرت ان ينصب ملك بديل عن الملك الاصلي عندما تشير تنبؤات الفأل باحتمال وقوع احداث خطيرة على الملك، وذلك من اجل سلامة الملك الاصلي، ويبدو ان تنبؤات الفأل قد توقعت شيئاً من ذلك بخصوص الملك «ابرا ـ ايميتي» ملك سلالة ايسن، ولذلك عُين البستاني «انيليل باني» بديلاً عن الملك «ايرا ـ ايميتي»، واثناء حكم الملك البديل توفي الملك الاصلي نتيجة تناوله الحساء وبقي الملك البديل على العرش ولم يتنازل عنه واستمر في الحكم طوال عشرين عاماً، ولهذا يعتقد ان «ايرا ـ ايميتي» قد مات مسموماً بتدبير من الملك البديل اينليل

باني . وبعـد هذه الاحداث استمرت سلالة ايسن بالتدهور حتى تم سقوطها عام ١٧٩٤ ق.م على يد سلالة لارسا .

٢ ـ سلالة لارسا

ان الـظروف التي مكنت اشبي ايرا من اقـامـة سلالة ايسن، قد ساعدت ايضاً المدعو «نبلانوم» من اقامة سلالة جديدة في مدينة لارسا عرفت بأسم سلالة لارسا ٢٠٢٥ ـ ١٧٦٣ ق.م .

حكم نبلانوم عشرين عاما ولكن سلالته لم تكن بمستوى وقوة سلالة ايسن، ولكن منذ حكم ملكها الخامس المدعو كنكونوم، الذي انتزع مدينتي اور ولكش من سلالـة ايسن بدأت سلالة لارسا تكون سيدة المـوقف في نزاعها مع سلالة ايسن، حتى مجيء الملك حمورابي الى حكم سلالـة بابـل الاولى وتمكنه من السيطرة على جميع السلالات واعادة الوحدة مجدداً الى البلاد .

٣ ـ سلالة ايشنونا

قامت هذه السلالة بشكل خاص في منطقة حوض نهر ديالى وسفوح مرتفعـات جبـال زاكروس، وسميت نسبة الى اسم عاصمتها ايشنونا (الاسم الحالي تل اسمر) . وحكم في هذه السلالة حوالي عشرين ملكاً لانعرف مدد حكمهم بشكل دقيق، ولكن ما تشتهر به هذه السلالة هو القانون الذي اصدرته . وبسبب عدم وضوح اسم الملك الذي شرعه فقـد سمي هذا القـانون بقانون ايشنونا، وهو مدون باللغة الاكدية .

وفضلاً عن ذلك فقد اشتهرت سلالة ايشنونا بنصوصها الرياضية، حيث عثر في موضع تل الضباعي، الواقع على قناة الجيش عند بغداد الجديدة على لوح رياضي يحتوي على القاعدة الهندسية المعروفة باسم فيثاغورس وملخصها ان مربع الوتر في المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع مربع الضلعين القائمين. وهذه الحقيقة قد قدمت البرهان الساطع على ان مايسمىٰ بنظرية فيثاغورس قد كانت معروفة لدى علماء الرياضيات في العراق القديم من قبل فيثاغورس باكثر من ١٣٠٠ سنة، لان فيثاغورس عاش للفترة ٥٧٠ ـ ٥٠٠ ق.م، بينما تاريخ اللوح الرياضي من تل الضباعي هو حوالي ١٨٥٠ ق.م. وفي موضع آخر يقع في منطقة تل حرمل عثر على لوح هندسي اخر يحتوي على تشابه المثلثات او مايسمى بنظرية اقليدس.

ومن ملوك هذه السلالة المشهورين هما نرام سين ودادوشا، حيث تمكن الاول من توسيع حدود سلالة ايشنونا ٢٠٢٤ ـ ١٧٦١ ق.م، والثاني استطاع ان يضم مدينة ماري الى سلالته بعد ان انهىٰ الحكم الاشوري فيها. وفي زمن اخر ملوك هذه السلالة المدعو «صلي سين» تمكن الملك حمورابي من السيطرة على سلالة ايشنونا وذلك من اجل اقامة الدولة الموحدة.

٤ ـ سلالتي ماري واشور.

لقد تمكن الاموريون ايضاً من قبل تأسيس سلالة بابل الاولىٰ الشهيرة من اقامة دولة لهم في مدينة ماري الواقعة الى القرب من البوكمال في حدود ١٨٥٠ ق.م واستمرت حتى عام ١٧٦١ ق.م، فتكونت لهم نتيجة ذلك علاقات مهمة مع بلاد وادي الرافدين.

وقد امتدت سلطتها على طوال نهر الفرات والخابور وشملت منطقة عانة ولاسيما في عهد ملكها «يجد ليم» وكان هذا الملك يعاصر احد ملوك اشور المدعو «ايلاكبكبو» واعقب يجد ليم ابنه المدعو «يخدن ليم» الذي اغتالته حاشية البلاط.

وقد صادف هذه الاحداث تعاظم الدولة الاشورية في عهد ملكها الشهير شمشي ادد الاول، الذي كان ايضاً من اصل اموري، ولذلك تمكن هذا الملك من ضم دولة ماري ومناطق مهمة من سوريا ولبنان وسواحل البحر الابيض المتوسط. وكان للملك شمشي أدد ابنان، عين أحدهما المسمى يسمح أدد ملكاً على ماري. وقد تميزت سلالة ماري وهي تحت حكم يسمح ادد بغزارة المصادر والنصوص التاريخية لان التنقيبات التي اجراها الفرنسيون في مدينة ماري قد كشفت لنا عن القصر الملكي الواسع الذي عثر فيه المنقبون على اكثر من ٢٠,٠٠٠ رقيم طيني، وقد تضمنت هذه الرقم على انواع مهمة من السجلات الملكية والرسائل والوثائق التجارية الخاصة بملوك سلالة (دولة) ماري.

وفي اواخر ايام يسمح ادد الاشوري حاكم مدينة ماري، ظهر في ماري احد الامراء المدعو «زمري ليم» ابن الملك يخدن ليم، الذي تمكن من ابعاد يسمح ادد عن مدينة ماري بعد ان تحالف مع مملكة حلب الامورية، ولكي يتمكن زمري ليم من تعزيز استقلاله فقد وطد صداقته مع الملك البابلي حمورابي، حتى انتهت تلك الصداقة الى انضمام سلالة ماري الى مملكة حمورابي.

هذا ومن خلال الرقم الطينية التي عثر عليها في القصر الملكي في ماري تعرفنا على وجود مملكة امورية اخرى تسمى «يمخد» وكانت

عاصمتها «خلبو» اي خلب وان احد ملوكها كان اسمه «يريم ليم» وتبين لنـا ايضـاً ان مدينة جبلا اي جبيل كانت من المراكز الصناعية المهمة للنسيج ومدينة قطنا كانت مركزاً تجارياً مهماً لسلالات الحكام الاموريين.

٥ ـ سلالة دير

تعرف بقايا المدينة القديمة «دير» باسم تلول العقر، وتقع في ضواحي بلدة بدرة الحالية، ولموقع هذه المدينة اهمية استراتيجية فهي على الحدود العراقية العيلامية.

حكمت في هذه المدينة في بداية الالف الثاني قبل الميلاد سلالة ولفترة قصيرة والمعلومات التاريخية المتوفرة تشير الى ان قوات هذه السلالة قد هاجمت سلالة ايشنونا في زمن ملكها المدعو «بلالاما». وعلى الرغم من ان المعلومات التاريخية لاتسمح لنا بتحديد تسلسل الملوك الذين حكموا هذه السلالة ولكننا متأكدون ان مؤسس هذه السلالة يدعىٰ «ندنونشا»، الذي قام بتأليه نفسه وان الاله الرئيس لهذه السلالة هو «ستران».

وجاء من بعد ندنوشا لحكم سلالة دير الملك «آنوموتّبل» الذي اشار في كتـابة له انه قد دحر جيوش انشان (=ديزفول الحالية) وغزا سلالة ايشنونا. وكانت نهاية سلالة دير على يد ملك ايسن «ادن دكان» ١٩٧٤ ـ ١٩٥٤ ق.م.

٦ ـ سلالة الوركاء

في مدينة الوركاء اسس الاموريون ايضاً سلالة عرفت باسم سلالة الوركاء واسم مؤسسها هو «سين كاشد»، ومن المحتمل انه بدأ حكمه قبيل عام ١٨٦٠ ق.م وقد اهتم هذا الملك بالاعمال العمرانية، حيث بنى له في مدينة الوركاء قصراً كبيراً فضلاً عن انه قد جدد معظم الابنية الدينية في الوركاء واهتم كذلك بالابنية الخاصة بالطقس الديني المعروف باسم الزواج المقدس. هذا ولم يقتصر اهتمام الملك سين كاشد على الاعمال العمرانية فقط بل شمل ايضاً النواحي الاقتصادية المتعلقة بالمواطنين، حيث قام بتحديد اسعار السلع والبضائع التجارية وذلك حماية للمستهلكين من الاستغلال.

جاء من بعد سين كاشد ملك اخر يدعى «سين ايريبام» ولكننا لم نعثر له على كتابات مسمارية تعرفنا بانجازاته. خلف هذا الملك ثلاثة ملوك اخرهم هو «ايردا نيني»، الذي عرف بتجديده للابنية الدينية. وانتهى استقلال سلالة الوركاء بسيطرة لارسا عليها.

٧ ـ سلالة ملكيئوم.

لانعرف كثيراً عن هذه السلالة ولكن المعلومات المتوفرة تشير الى ان مدينة ملكيئوم تقع عند مصب نهر النهروان في نهر دجلة قرب مدينة الكوت الحالية. ومعلوماتنا عن هذه السلالة قد ذكرت لنا اسماء ملكين لااكثر من ملوكها، الاول هو «تاكل ايليشو» والاخر «ابق عشتار» هذا وقد تمكن الملك حمورابي من ضم هذه السلالة الى دولته في عام حكمه

الخامس والثلاثين.

٨ـ سلالتي كيش وسپار

لقـد اسس الاموريون في هاتين المدينتين سلالتين مستقلتين ايضاً ولكننا لم نحصل على معلومات تاريخية وافية عنهما، ففيما يخص سلالة كيش لدينـا نص واحد ولكن معلوماته فيها مبالغة كبيرة، حيث اشار النص المـذكور ان جهات العالم الاربع قد ثارت على الملك «اشدوني اريم» ملك سلالة كيش، وانه ظل يحارب اعداءه طوال ثمانية اعوام، بحيث لم يبق من جيشه سوى ثلاثمائة مقاتل، ولكن آلهة مدينة كيش قد ساعدته ونصرته على اعدائه. وبعد ذلك قام بتقوية سور مدينة كيش.

وفيما يخص سلالة مدينة سپار فقد سكنتها قبيلة من قبائل الاموريين اسمها يخرورم، واستطاعت هذه القبيلة من اقامة سلالة مستقلة فيها في نفس الفترة التي قامت فيها سلالة بابل الاولى.

وثاني ملوك هذه السلالة كان يدعى «اميروم» وكل مانعرفه عنه ان جاء من بعده ملكان لم تذكر لنا النصوص المسمارية عنهما شيئاً متميزاً حتى تمكن حمورابي، سادس ملوك سلالة بابل الاولى من ضم جميع السلالات الى مملكته ومن بينها طبعاً سلالة سپار.



«سلالة بابل الاولى

من ابـرز واهم السـلالات التي اسسهـا الاموريون في بلاد وادي الـرافـدين هي سلالة بابل الاولى، حيث استطاع احد زعماء القبائل الامـورية والمدعو «سومو آبوم» في حدود ١٨٩٤ ق،م ان يقيم سلالة جديدة في مدينة بابل اضافة الى السلالات التي مر ذكرها، وعرفت هذه السلالة باسم سلالة بابل الاولى. وقد تمكنت هذه السلالة الامورية من ان تحقق انجـازات عسكـرية وحضارية اكثر من بقية السلالات الاخرى التي انشأها الاموريون انفسهم.

والسبب الذي جعل سلالة بابل الاولى تحقق انجازات اكبر من بقية السلالات الاخرى راجع الى ان مدينة بابل والمناطق المحيطة بها كانت

ايام قيام السلالة المذكورة من المناطق التي لم تصل اليها الملوحة التي غزت معظم اراضي القسم الجنوبي من العراق. وفضلاً عن ذلك فان اراضي منـطقة بابل كانت لا تزال تحتفظ بخصوبتها ولم تستنزف مثل اراضي المدن الجنوبية.

ولتـوضيح موضـوع الملوحـة واستنـزاف الخصوبة هذا نشير الى ان المعلومات المتوفرة قد اكدت ان تربة القسم الجنوبي من العراق خلال منتصف الالف الرابع قبل الميلاد كانت خالية من الملوحة تماماً ولذلك فان زراعة الحنطة خلال التاريخ المذكور كانت مساوية تماماً لزراعة الشعير،

ولكن النصوص الاقتصادية التي جاءتنا من زمن الملك اينتمينا ٢٤٣٠ ـ ٢٤٠٠ ق.م، الملك الـرابـع من ملوك سلالة لكش الاولى ٢٥٢٠ ـ ٢٣٥٥ ق.م، قد اكـدت على ان كمية الحنـطة المزروعة قد تقلصت واصبحت تساوي سدس محصول الحبوب.

وهـذه في الواقع اشارة واضحة الى ان نسبة الملوحة في تربة القسم الجنوبي من العراق قد ارتفعت عالياً وبشكل سريع بحيث اثرت على زراعة الحنطة التي لاتتحمل بطبعها الملوحة. والسبب في هذه الزيادة السريعة بالملوحة في زمن الملك اينتمينا يرجع حسب المعلومات المتوفرة الى النزاعات المستمرة التي حدثت بين سلالتي لكش واومّا ٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٥ ق.م، حيث ان مدينتي لكش واومّا كانتا واقعتين على مجرىٰ مائي يتفرع من نهر الفرات. وقد استمرت هذه النزاعات بينهما سنين عديدة من اجل الاستيلاء على منطقة حدودية خصبة تسمىٰ «كوايدّنا»، وقد تمكنت سلالة لكش في عهد ملكها اينتمينا من السيطرة على هذه

المنطقة الحدودية لفترة مؤقتة، لأنها لم تتمكن من منع سلالة اومّا الواقعة في اعلى المجرى المائي من وضع العراقيل امام القنوات الفرعية التي كانت تسقي الحقول الحدودية ولذلك اقدم الملك اينتمينا على شق قناة من نهر دجلة وحتى المنطقة الحدودية المذكورة من اجل ايصال الماء الكافي لزراعتها.

ونهر الغراف الحالي يمثل القناة التي حفرها الملك اينتمينا والتي سميت في المصادر المسمارية بقناة دجلة. وبعد ان بدأت هذه القناة بتجهيز المنطقة بكميات كبيرة من المياه اضافة الى الكميات التي كانت تجهز من قبل نهر الفرات فقد ادى ذلك الى ارتفاع في مستوى المياه الجوفية. ومادامت المياه الجوفية ذات امكانية محدودة في تصريف الملوحة بسبب بطء حركتها لذلك اصبحت مستودعاً لها، ولهذا فان ارتفاع مستوى المياه الجوفية قد ادى الى صعود الملوحة بفعل الخاصية الشعرية الى سطح التربة، ولذلك لاحظنا الهبوط الواضح في نسبة زراعة الحنطة منذ فترة حكم الملك اينتمينا. ومما لاشك فيه ان زيادة الملوحة التدريجية وخاصة منذ فترة حكم الملك المذكور قد اخذت تؤثر بشكل ملحوظ على النسبة المئوية لزراعة الحنطة في القسم الجنوبي من العراق، حيث ان نسبتها اصبحت تساوي ٢٪ من المحصول في عام ٢١٠٠ ق.م. وفي عام ١٧٠٠ ق.م ترك السكان زراعة الحنطة بصورة نهائية في القسم الجنوبي من العراق.

والحقيقة ان مشكلة الملوحة التي برزت بسبب ارتفاع مستوى المياه الجوفية لم تؤثر على زراعة الحنطة فقط بل ادت الى فقدان تربة تلك السهول الغرينية لخصوبتها تدريجياً، حيث ان دراسة النصوص

المسمارية قد بينت لنا ان الانتاج الزراعي قد تركز منذ عام ٢٤٠٠ ق.م على زراعة الشعير لقدرته على تحمل ملوحة التربة، ومما يؤكد هذه الحقيقة هي النصوص الاقتصادية التي جاءتنا من مختلف الفترات القديمة، حيث جعلت هذه النصوص من الشعير المادة الاساسية للمقايضة ولم تتطرق الى ذكر الحنطة الا في الحالات النادرة جداً.

والشعير كما هو معروف يستهلك كثيراً من خصوبة التربة، ولذلك دلت الاحصائيات الخاصة بزراعة الشعير على ان القدرة الانتاجية خلال فترة حكم الملك اينتمينا ٢٤٣٠ - ٢٤٠٠ ق.م، قد بلغت ٢٥٣٧ لتراً لكل هيكتار (= ١٠٠٠٠ م٢) من الارض.

وهذا الرقم في الواقع يعتبر معدلاً عالياً نسبياً حتى بالنسبة لمعدل الانتاج الذي تحققه كل من الولايات المتحدة الامريكية وكندا في الوقت الحاضر، الا ان المعدل قد هبط عام ٢١٠٠ ق.م الى ١٤٠٠ لتر لكل هيكتار وذلك بسبب تناقص خصوبة التربة. وفي عام ١٧٠٠ ق.م انخفضت القدرة الانتاجية الى درجة كبيرة بحيث بلغت ٨٩٧ لتراً لكل هيكتار.

وبسبب هذا التناقص في خصوبة التربة ومعدل انتاج الشعير فقد تزعزعت مراكز السلطة السياسية في القسم الجنوبي من العراق، بحيث انها اضطرت الى النزوح شمالاً ولذلك اصبحت مدينة بابل منذ عام ١٨٠٠ ق.م مركزاً لها بعد ان كانت مدينة اريدو واور والوركاء مراكز مهمة للسلطة السياسية قبل هذا التاريخ، ولهذا السبب بالذات سميت السلالة التي اقامها الاموريون في بابل بسلالة بابل الاولى، لان بابل لم تكن من قبل مركزاً لسلالة حاكمة.

وبنـاءاً على ماتقـدم فان القسم الجنـوبي من العراق كاد ان يهجره السكـان بسبب تنـاقص معدل انتاج الشعير المستمر، الا ان الاجراء الذي انقذ الجنوب من محنته واعاد له الحياة هو قيام سكانه منذ اواخر القرن الثامن قبل الميلاد بزراعة الرز (= الشلب» الذي انتشرت زراعته بصـورة واسعـة خلال القـرن السـادس قبل الميلاد والرز يلفظ باللغة السومرية «شي ـ لي ـ اب» و «شي» تعني شعير و «لي» تعني المشتول و «آب)» تعني الماء، وبهذا يكون معنىٰ الاسم سومرياً «الشعير المشتول في الماء».

وان دلت هذه التسمية على شيء فانهـا تدل على اصالتها العراقية ولذلك كلمة «شلب» الحالية لابد وانها آتية من التسمية «شي ـ لي اب».

هذا وان انحسـار زراعـة الشعـير واتساع زراعة الشلب في القسم الجنوبي من العراق قد دفع السكان الى عمل الخبز من الشلب ايضاً، وخير شاهد على ذلك هو «الطابك» و «السياح»، حيث انه يشبه الخبز ولكنه مصنوع من مادة الشلب.

والمعروف عن الرز هو ان زراعته قد بدأت في الصين في حدود ٣٠٠٠ ق.م، وان اقـدم اشـارة الى زراعـة الـرز في الصين جاءت من زمن الامـبراطـور الصيني «جن ـ نونك ـ chin. nunG »، اي في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد، والاحتمال كبير على ان كلمة «رز» ذات اصل صيني.

وفيما يخص «سوموآبوم» ١٨٩٤ ـ ١٨٨١ ق.م، مؤسس سلالة بابل الاولى فان معلوماتنا عنه لم تأتنا من مدينة بابل نفسها على الرغم من

التنقيبات الواسعة التي اجراها الالمان في المدينة المذكورة، لان ارتفاع مناسيب المياه الجوفية قد منع المنقبين من الوصول الى اثار سلالة بابل الاولىٰ، ولكن التنقيبات التي اجريت في المدن الاخرى قد وفرت لنا معلومات لابأس بها عن ملوك هذه السلالة.

ومن خلال هذه المعلومات تبين ان سومر آبوم كان احد زعماء الاموريين وقد استغل فرصة تجزئة البلاد الى دويلات عديدة فاقام له سلالة بابل الاولىٰ. واول عمل قام به هو بناء سور دفاعي حول مدينة بابل، وقد تأكدت لنا هذه الحقيقة من خلال تأريخ السنة الاولى من حكمه، وبعد ذلك قضىٰ بقية سني حكمه بتوطيد سلطته في بابل وتقوية وسائل دفاعها وحصونها. اما نهايته فغير واضحة لنا، ولكن الذي نعلمه هو ان خليفته في الحكم المدعو سومو لايل لم يكن ابنه ولاقريباً له. وهذه الحقيقة تؤكد احد امرين ، اما ان سومولايل قد وصل الى الحكم عن طريق الثورة او ان سوموابوم لم يخلف له وريثاً للحكم.

٢ - سومولائيل

وهو الملك الثاني من ملوك سلالة بابل الاولىٰ وقد دام حكمه ٣٦ عاماً، قضىٰ جزءاً كبيراً من حكمه في حروب مع دول المدن المجاورة وبوجه خاص مع مدينة كيش القريبة من بابل، ونتيجة هذه الحروب تمكن هذا الملك من ضم مدينة كوتي (الاسم الحالي تل ابراهيم) ومدينة مراد (الاسم الحالي ونه والصدوم قرب الديوانية) وفضلاً عن ذلك فقد اهتم سومولائيل كثيراً ببناء المعابد واقامة نظام متكامل

للري، لان مدينة بابل لم تكن في السابق مستغلة زراعياً كما هو الحال مع المدن الجنوبية. وقد عرفنا نشاطه في هذا المجال خلال تواريخ سني حكمه وهي الاتي:ـ

أ ـ السنة بعد السنة التي (امر فيها سومولائيل) حفر القناة المسماة الأله «اوتو» هو الوفرة. وهذا هو تأريخ السنة الاولى من حكم الملك سومولائيل.

ب ـ السنة بعد السنة التي كُري بها نهر الفرات. وهذا هو تاريخ السنة التاسعة عشرة من حكم الملك سومولائيل.

ج ـ السنة بعد السنة (التي امر فيها سومولائيل) حفر القناة المسماة سومولائيل. وهذا هو تاريخ السنة الثانية عشرة من حكم الملك سومولائيل ١٨٨٠ ـ ١٨٤٥ ق.م

د ـ السنة بعد السنة التي (امر فيها سومولائيل) بحفر القناة المقابلة للمنطقة الجبلية والقناة المسماة سومولائيل هو الوفرة. وهذا هو تاريخ السنة ٣٢ من حكم الملك سومولائيل.

٣ ـ سابيئوم.

هو ابن الملك سومولائيل، وقبل توليه الحكم من بعد ابيه كان حاكما على مدينة سپار، وقد دام حكمه ١٤ عاماً ١٨٤٤ ـ ١٨٣١ ق.م.

ومن خلال احداث التواريخ الخاصة بسني حكمه تبين لنا ان سابيئوم قد قام ببناء سور لمدينة «كار شمش» وبناء معبد الايساكيلا للاله مردوك في مدينة بابل، كما قام بتجديد بناء معبد الالهة اوراش في مدينة دلبات.

وفضلاً عن ذلك فقد قام بشق قناة عرفت باسم «البحر هو الوفرة» .

وفيما يخص اعماله العسكرية فان تاريخ النسة الثانية عشرة من حكمه قد اشار الى قيامه بتهديم سور مدينة كزالّو. وعلى مايبدو من هذا التاريخ ان الملك سابيئوم قد تمكن من ضم مدينة كازالّو الى سلالة بابل الاولى .

٤ ـ ابِل سين

خلف سابيئوم بالحكم ابنه الملك «ابِل سين» الذي حكم لمدة ١٨ عاماً ١٨٣٠ ـ ١٨١٣ ق.م ومن اولى اعماله التي اشار اليها تاريخ السنة الاولى من حكمه هو بناؤه لسور مدينة پورسيا. وان اهتمام الملك ابل

MU E . A . AB . BA HÉ . GÁL

قناة السنة البحر الوفرة

MU . UN . SI . IG

قد شق

الترجمة : السنة بعد السنة التي (امر بها الملك سابيئوم) بشق القناة المسماة: البحر هو الوفرة .

تاريخ السنة ١٣ من حكم الملك سابيئوم

سين بمدينة پرسيا راجع الى ان الاله الرئيس لهذه المدينة والمدعو «نابو» ماهو الا ابن الاله مردوك، الاله الرئيس لمدينة بابل وبورسپا.

وتأريخ السنة الثانية من حكم الملك اپل سين قد اخبرنا عن بنائه للسور الكبير الجديد لمدينة بابل. كما قام ايضاً ببناء حصن عرف باسم «دور ـ موتِي» اي بمعنىٰ «حصن الموتِ» وبنىٰ ايضاً معبداً للأله ايننا (= عشتار) في مدينة بابل وفضلاً عن ذلك قام ببناء البوابة الشرقية في سور مدينة بابل وتجديد معبد الاله «نركال» في كوتي (الاسم الحالي تل ابراهيم)، كما قام ببناء حصن عرف باسم «دور اپل سين» ويقع هذا الحصن على الطريق الموصل مابين بابل واشور. وفي مجال الري فان تاريخ السنتين الرابعة والثامنة من حكمه قد اخبرانا انه قد شق قناتين الاولى عرفت باسم قناة «الشمندر» أي الشوندر والثانية عرفت باسم «اپل سين هو الوفرة».

٥ ـ سين موبلط

خلف اپل سين في حكم سلالة بابل الاولى ابنه الملك سين موبلط، الذي حكم لمدة عشرين عاماً ١٨١٢ ـ ١٨٩٣ ق.م، تعاظمت خلالها سلالة بابل وقوت سلطانها في المدن التابعة لها. ومن خلال الاحداث التي ارخ بها الملك سين موبلط سني حكمه يمكننا التأكيد على انه جند نفسه لتحصين حدود سلالته، لانه قد قام بأنشاء الحصون التالية: حصن روباتوم، حصن ديمات دادا، حصن سين موبلط وحصن باصوم، وفضلاً عن ذلك فقد بنىٰ اسواراً حول مدينة اينيكي وماراد وايريش. كما اهتم ايضاً بشؤون الري، حيث قام بشق ثلاث قنوات،

الاولى سميت بأسمه والثانية سميت باسم «الالهة آيا هي الوفرة» واسم الثالثة هو «الاله اوتو (= شمش) هو الوفرة».

هذا ومن خلال تأريخ السنة الثالثة من حكم سين موبلط تبين لنا انه قرر الانضمام الى حلف يتألف من مدينة ايسن والوركاء وقوم «سو» لمحاربة سلالة لارسا، ولكن هذا الحلف لم يحقق اية نتيجة كانت، ولكن تأريخ السنة السابعة عشرة من حكمه قد اخبرنا بسيطرة الملك سين موبلط على مدينة ايسن، ولكن هذه السيطرة لم تدم سوى ثلاث سنوات ومن بعدها تمكنت سلالة لارسا من احتلال مدينة ايسن وانهاء سلالتها نهائياً.



راس تمثال يصور حمورابي



الملك حمورابي

تسلم حمورابي حكم سلالة بابل الاولى من بعد وفاة والده سين موبلط، وفي تلك الاثناء كانت سلالة بابل الاولى عبارة عن مملكة صغيرة لايتجاوز قطر مساحتها على ٨٠ كم حيث كانت تمتد من مدينة سپار شمالاً الى مدينة ماراد جنوباً، اي الى حدود مدينة الديوانية الحالية، وفضلاً عن ذلك فقد كان حمورابي محاطاً بملوك ذوي خبرة وتجربة واسعة وطامعين في الوقت نفسه بالسيطرة على مدينة بابل. ومن ابرز هؤلاء الملوك هو «ريم سين» ١٨٢٢ - ١٨١٣ ق.م. ملك سلالة لارسا ٢٠٢٥ - ١٧٦٣ ق.م والملك «شمشي ادد» الاول ١٨١٣ - ١٧٨١ ق.م ملك سلالة اشور، التي لانعرف مدة حكمها بشكل

اكيد، ولذلك لم تكن الفرصة مواتية امام الملك الشاب حمورابي لتوسيع حدود مملكته الصغيرة، ولهذا كان عليه ان يمارس السياسة التي سادت القسم الجنوبي من العراق خلال قيام دويلات المدن التي مر ذكرها والمتمثلة بسياسة التأرجح بين القوى المختلفة واستغلال الفرص المناسبة، حيث ان الادلة المتوفر ة تؤكد انه رضي لنفسه ولسلالته ان تحتمي بظلال سلالة اشور زمن ملكها شمشي ادد الاول ليأمن خطر ريم سين، ملك سلالة لارسا. ومن الادلة المادية على ذلك هو ان العقود الاقتصادية المدونة في السنة العاشرة من حكم الملك حمورابي قد بينت لنا ان القسم فيها كان يردد باسم حمورابي وباسم شمشي ادد الاول ملك سلالة اشور في آن واحد. وان دلت هذه الحقيقة على شيء فأنها تدل على ان سلالة بابل الاولى تتمتع في الوقت نفسه بحكم ذاتي خاص بها وقد تأكدت لنا هذه الحقيقة من خلال احداث سني حكمه التي لاتحتوي على اي تدخل من قبل سلالة اشور في شؤون الملك حمورابي. فتأريخ السنة الاولى يعلن عن تسلم حمورابي للسلطة في سلالة بابل الاولى وتاريخ السنة الثانية يعلن عن قيام الملك حمورابي بسن قانون خاص بسلالته ونص هذا التأريخ هو الاتي:- «السنة التي ثبت فيها حمورابي العدالة في البلاد».

وهذا القانون الذي سنه حمورابي في السنة الثانية من حكمه لايمثل شريعته المعروفة وانما هو جملة مواد قانونية لاتختلف بعددها عن عدد المواد المستخدمة في القوانين التي ظهرت قبله، وهدف الملك حمورابي من وراء ذلك هو منح سلالته الشخصية الخاصة بها والاستقلالية وعدم اعتمادها على ماانتجته السلالات التي سبقت سلالته، لان المواد القانونية السابقة لفترة حكم سلالة بابل الاولى ماكان بأمكانها ان تطبق العدالة الحقة بين الأموريين، الذين كان معظمهم لايزال يعيش عيشة

عشائرية ولايملكون من المال مايفيض عن حاجتهم لان مواد القوانين السابقة كانت تعتمد مبدأ الغرامة كعقوبة على الاعمال المنافية للقانون، وكمثل على ذلك نعرض هنا المادة (١٩) من قانون اورنمو. حيث تنص على مايلي :ـ «اذا كسر رجل سن رجل اخر، عليه ان يدفع غرامة شيقلين من الفضة».

ان تطبيق مثل هذه المواد القانونية على اناس لايملكون من المال شيئاً سوف يكون امراً تعجيزياً بالنسبة لهم وليس بأمكانه ان يحقق العدالة المطلوبة، لان الذي يكسر من الاموريين سن رجل اخر لايستطيع ان يدفع شيقلين من الفضة عقاباً لفعلته، وفضلاً عن ذلك لم يكن انذاك السجن معروفاً كي يوضع فيه من يعجز عن دفع غرامة عقوبته، ولذلك ماكان عملياً على الاطلاق تطبيق القوانين السابقة على اناس معظمهم يعيشون عيشة الكفاف، ولذلك ابدل حمورابي مبدأ الغرامة بمبدأ القصاص فأمكنه بهذا الابدال تحقيق العدالة الممكنة، وماعدا ذلك لاتوجد وسيلة اخرى يمكن من خلالها تطبيق العدالة بين الناس، ولهذا فان المادة (١٩) من قانون اورنمو ابدلها حمورابي ب الصيغة التالية : ـ «اذا قلع رجل سن رجل من طبقته، فعليهم ان يقلعوا سنه».

وقد تأكدت لنا هذه الحقيقة من شريعة حمورابي نفسها التي سنها في حدود السنة الثلاثين من حكمه، لأنها الشريعة الوحيدة التي استخدمت مبدأ القصاص في كثير من موادها. وبناءً على ذلك يمكننا الافتراض على ان المواد القانونية التي شرعها حمورابي في السنة الثانية من حكمه قد تضمنت على مواد اعتمدت مبدأ القصاص التي بوساطتها امكنه تطبيق العدالة الممكنة، ولهذا سميت السنة الثانية من حكمه بالسنة التي ثبت فيها حمورابي العدالة في البلاد.

وفيما يخص تواريخ السنوات الثالثة وحتى السادسة من حكمه فأنها جميعاً تتحدث عن اعمال تهدف الى احترام المشاعر الدينية لسكان سلالة بابل الاولى. وقبل ان ننتقل الى فقرة جديدة نود ان نؤكد على السياسة الصائبة التي انتهجها الملك حمورابي عندما فضل في بداية حكمه التحالف مع ملك اشور وعدم تحالفه مع ريم سين ملك لارسا، لان المعلومات المتوفرة تؤكد ان سكان سلالة اشور كانوا جميعاً من الاموريين، اي من نفس الاصل الذي يرجع اليه حمورابي بينما سكان سلالة لارسا فيهم الكثير من الاصل العيلامي، الذين لايمكن للملك حمورابي ان يأمن جانبهم، وفضلاً عن ذلك فان حمورابي كان مخططاً لان يوحد المدن الجنوبية من قبل اقامة الدولة الموحدة الكبيرة، فالتحالف مع ريم سين ملك لارسا قد يؤخر هدفه بعض الوقت.

توسيعه لحدود سلالته

بعد ان تمكن الملك حمورابي في غضون السنوات الست الاولى من حكمه من تثبيت اركان حكمه بدأ يفكر بتوسيع حدود سلالته، وهذا التفكير على مايبدو قد بدأ لدى حمورابي بعد ان ضمن لسلالته دعم واسناد سلالة اشور، حيث ان تاريخ السنة السابعة من حكمه قد تطرق الى احتلال الملك حمورابي لمدينتي ايسن والوركاء. وهذه الحقيقة تؤكد ان الملك حمورابي قد بدأ بالتخطيط فعلاً لانهاء سلالة لارسا الخصم العنيد لسلالة بابل، حيث مر في حديثنا عن الملك سين موبلط والد الملك حمورابي انه قد احتل مدينة ايسن ولكنه لم يتمكن الاحتفاظ بها اكثر من ثلاث سنوات ومن بعدها تمكنت سلالة لارسا من استعادة

مدينـة ايسن. ان اقـدام الملك حمورابي في السنة السابعة من حكمه باحتـلال مدينة ايسن دليل على اصرار الملك حمورابي لتحدي سلالة لارسا في السيطرة على مدن القسم الجنوبي من العراق. وهذا الاصرار لايعتمد فقط على السياسة الصائبة التي انتهجها الملك حمورابي خلال السنوات الاولى من حكمه، بل يعتمد ايضاً على دعم الملك الاشوري شمشي ادد الاول لسلالة بابل الاولىٰ.

وفضلاً عن احتلاله لمدينتي ايسن والوركاء فقد قام في السنة الثامنة من حكمه باحتلال منطقة «يموتبال» الواقعة الى الشرق من نهر دجلة والتي يرجـع اليهـا اصل الملك ريم سين، ملك سلالة لارسا. وهذا الاحتلال للمنطقة المذكورة ماهو الا تحد صريح من قبل الملك حمورابي للملك ريم سين، ولهذا يعتقد المؤرخون ان اقدام الملك حمورابي على هذا التحدي لابد وانه يعتمد بالدرجة الاساس على تحالفه مع ملك سلالة اشور. ومن الادلة الواضحة على وجود هذا التحالف هي الرسائل المتبادلة مابين حمورابي وشمشي ادد الاول، حيث طلب في احدى هذه الرسائل من الملك حمورابي القيام بحماية قافلة اشورية مقابل تعهد ملك اشور بتسليم البابليين الهاربين من بابل والمقيمين في مدينة ماري، التي كانت انذاك تحت سيطرة سلالة اشور.

وبفضل هذا التحالف تمكن حمورابي في السنة العاشرة من حكمه من احتـلال منـطقتي «مـالقوم» و «شاليبي» الواقعتين الى الشرق من دجلة، كما احتـل في السنـة الحـادية عشرة من حكمه مدينة رابيقوم، الـواقعـة قرب الرمادي الحالية، وبسيطرة الملك حمورابي على مدينتي مالقوم ورابيقوم تمكن من ضم موقعين مهمين من المواقع التابعة لسلالة ايشنونا.

هذا وان وفاة الملك شمشي ادد الاول، ملك اشور في السنة الحادية

عشرة من حكم الملك حمورابي ومجيء ابنه «اشمي دكان»، الذي لم يكن بمستوى والده من حيث القدرة على الحفاظ على حدود سلالة اشور قد وضع ذلك الملك حمورابي في موقف سياسي جديد، يتوجب فيه على الملك حمورابي ان يعيد النظر في سياسته مع سلالة اشور، التي لم تعد قادرة على حماية ظهره الحماية المطلوبة، حيث بينت لنا احدى الرسائل المكتشفة في مدينة ماري ان اشمي دكان، ملك اشور كان يبعث الرسائل للملك حمورابي مبدياً فيها ولاءه لسلالة بابل الاولى، اي ان سلالة اشور هي التي بدأت تطلب حماية الملك حمورابي لها، ولهذا السبب فقد اضطر الملك حمورابي الدخول في تعايش سلمي مع غريمه ريم سين، ملك سلالة لارسا ومع «دادوشا» ملك سلالة ايشنونا. وبسبب ذلك توقف الملك حمورابي عن مواصلة نشاطاته العسكرية من بعد عامه العاشر الى عامه الثلاثين، بحيث اقتصرت حوادث العشرين سنة التي تلت سنته العاشرة على الاعمال العمرانية مثل بناء المعابد وتقوية الحصون والاسوار في عاصمته وفي مدن مملكته الاخرى المهمة، وتنظيم الجيش وشؤون ادارة البلاد. وفضلاً عن ذلك فقد اهتم حمورابي في هذه الاثناء بجمع المعلومات والاخبار عن التحركات التي كانت تجري داخل السلالات الاخرى، حيث ان رسائل ماري قد بينت لنا ان كان لحمورابي معتمدون (رجال مخابرات) في بلاط مدينة ماري، حيث طلب الملك حمورابي في احدى رسائله من معتمدين له في مدينة ماري وهما «بوقاقوم» و«باخدي ليم» ان يعلماه بكل الاحداث السياسية والعسكرية التي تجري في المنطقة. وكان هذان المعتمدان يحتلان منصبين رفيعين في بلاط مدينة ماري.

وهذه الاجراءات التي قام بها حمورابي خلال العشرين سنة المذكورة كانت تهيؤاً واستعداداً لتحقيق هدفه في اعادة الوحدة الشاملة الى البلاد

ولذلك بدأ باعماله العسكرية الكبيرة في اعوام حكمه التي تلت العام الثلاثين واستمرت حتى العام التاسع والثلاثين وتمكن خلال ذلك من القضاء على اقوى واخطر خصومه الا وهو ريم سين ملك سلالة لارسا، حيث تم له ذلك في السنة الثلاثين من حكمه، اي عام ١٧٦٣ ق.م.

مما تقدم يبدو واضحاً ان الملك حمورابي لم يبدأ باعادة الوحدة الشاملة الى البلاد مالم يقض اولاً على سلالة لارسا، لان السلالة المذكورة كانت تفصل مابين مدينة بابل وساحل الخليج العربي، ولهذا كان بأمكانها ان تمنع وصول السفن التجارية الى مدينة بابل، ولذلك فان احتلال الملك حمورابي لمدينة لارسا قد فتح له الطريق امام التجارة مع مدن الخليج العربي، ولهذا كان عام حكمه الثلاثون عاماً حاسماً بالنسبة له لأن نهاية سلالة لارسا قد فسح المجال أمامه لتحقيق هدفه الكبير المتمثل بتحقيق الوحدة الكبرى للبلاد، حيث اعقب هذا العام اكتساحه لمملكة اشنونا في عام حكمه الواحد والثلاثين ثم بلاد اشور وبلاد ماري في العام الثاني والثلاثين، ثم اتجه بعد ذلك الى مدن بلاد الشام الواقعة على نهر الفرات فأصبح منذ عام حكمه الثامن والثلاثين سيد بلاد وادي الرافدين بلا منازع من اقصى شمال مابين النهرين الى الخليج العربي وبذلك تحولت سلالة بابل الاولى من مملكة صغيرة الى امبراطورية واسعة لاتختلف عن الامبراطورية التي اقامها من قبل الملك الشهير سرجون الاكدي.

وهذه الحقيقة ولاشك وضعت الملك حمورابي امام وضع جديد وحاسم، حيث على الملك حمورابي ان يكون بمستوى الامبراطورية التي كونها والا فأنه سوف يخسرها ويخسر كل شيء تمكن من تحقيقه، لان العبرة ليست في اقامة الامبراطوريات وانما العبرة في المحافظة عليها وادامتها ايضاً، لان الواقع العملي قد اكد ان الوصول

الى القمة امر ليس صعباً للغاية، وانما الامر الصعب حقاً هو البقاء في القمة، ولذلك كل من يتسلق القمة وهو ليس بمستواها فلابد له من السقـوط. والمعلومات المتوفرة عن الملك حمورابي قد اكدت انه كان فعـلاً الملك المناسب للامبراطورية التي اقامها، حيث ان الاجراءات التي قام بها كانت تتناسب تماماً مع متطلبات ادامة الامبراطورية. وفي مقدمة هذه الاجراءات هي شريعته المشهورة، حيث ان المعلومات التي ذكرها الملك حمورابي في مقدمة الشريعة تؤكد انه قد سنها مابعد عامه الثاني والثلاثين وليس قبله.

وقبل الحديث عن الشريعة المذكورة يجدر ان نشير الى ان من اولى المعارك التي قام بها الملك حمورابي من بعد تكوينه لامبراطوريته كانت مع بلاد سوبارتو الواقعة ضمن المنطقة التي تشغل شمال العراق وجنوب تركية والمحصورة مابين نهر دجلة ونهري الخابور والباليخ وتمكن من خلالها تحرير هذه المنطقة وتأمين سلامة الحدود الشمالية لامبراطوريته. والمعلومات التاريخية المتوفرة انه قد نصب نسخة من شريعته في المدينة التي تسمىٰ حالياً ديار بكر.

شريعة حمورابي

ان الامبراطورية التي كونها الملك حمورابي قد ضمت تحت لوائها اقواماً مختلفـة تتعـاون فيما بينهـا من حيث المستوى الحضاري والاقتصادي ولبعضها قوانين خاصة بها واخرى لاتمتلك سوى الاعراف والتقاليد، فلو يبقي الملك حمـورابي ممارسـة القضـاء في كل منـطقـة من مناطق امـبراطـوريتـه وفق اسـاليبهـا الخاصة بها، فهذا مايجزىء البلاد الى وحدات متفرقة ويبعد عنها الوحدة التي كان يرمي اليها، ولذلك فان

وحـدة القانون في كافة اجزاء الامبراطورية كانت من اهم المستلزمات لبناء وحدات الامبراطورية، ولهذا السبب بالذات سن شريعته مباشرة من بعد تكوين امبراطوريته.

ومن خلال المواد القانونية التي احتوتها الشريعة تمكنا من التعرف على الاجراءات القضائية والاقتصادية والعسكرية والدينية والاجتماعهية التي مارسهـا الملك حمـورابي في امبراطوريته. وقبل الدخول في هذه التفاصيل لابد من بعض المعلومات عن المسلة ذاتها وعن مكان عثورها.

معلومات عن المسلة

عملت مسلة حمـورابي من حجـر الـدايوريت الاسود الذي كان يستورد بشكل خاص من مدينة مكان (عُمان الحالية) طولها ٢٢٥ سم وقطرها ٦٠سم وهي اسطوانية الشكل ولكنها ليست دائرية تماماً. وقد وجـدت المسلة في مدينـة سوسـة عاصمة عيلام اثناء حفريات البعثة التنقيبية الفرنسية للفترة ١٩٠١ ـ ١٩٠٢ م. رتبت مواد المسلة في اربعة واربعين حقلاً، وكتبت باللغة البابلية وبالخط المسماري. تحتوي المسلة ٢٨٢ مادة قانونية ومن المرجح أنها كانت تزيد على (٣٠٠) مادة، لان التخريب الحاصل في احد اجزاء المسلة لم يمكننا من معرفة عدد المواد المخربة بصورة مضبوطة. وكان قد نقلها الى مدينة سوسة الملك العيلامي «شتروك ناخونته» الذي غزا مدينة بابل حوالي ١١٧١ ق.م، وقد محا الملك المذكور عدداً من الاسطر ليسجل مكانها على مايبدو اسمه، ولكن اللعنات التي تحتويها خاتمة الشريعة بخصوص من يغير في نصوصها قد منعت الملك شتروك ناخونته من تدوين اسمه.



شريعة حمورابي وفي اعلاه مشهد يصور الملك حمورابي وهو يتسلم ادوات القياس من الاله شمش اله العدالة .

وفي القسم الاعلى من المسلة نحت بارز يمثل الاله شمش، اله الشمس جالساً على عرشه يسلم بيده اليمنى الملك حمورابي الواقف امامه بخشوع ادوات القياس ليتسنى له بوساطة الحسابات الدقيقة اعمار البلاد وتثبيت الملكية. بدأ حمورابي قوانينه بمقدمة ذكر فيها اعماله في جميع المدن التي خضعت لسلطانه من الخليج العربي حتى اقصى الحدود الشمالية كما انه اطرى في تمجيد آلهة هذه المدن وتعظيمها، اضافة الى تأكيده البالغ على شرعية قوانينه وأنها ماشرعت الا لتساعد على توطيد العدل واحقاق الحق وهداية الحكام والولاة في تطبيق الاحكام على الناس.

وقبل ان نعرض نص مقدمة الشريعة نود ان نذكر حقيقة تتعلق بسرقة المسلة من قبل الملك العيلامي شتروك ناخونته لم يتطرق اليها من قبل كل من درس هذا الموضوع، حيث ان السرقة التي قام بها والتي اراد بها الاساءة الى البابليين والى حمورابي نفسه قد انقلبت بحكمه الله عز وجل الى فائدة عظيمة للبابليين وللملك حمورابي والحضارة العراقية القديمة عموماً، حيث لو لم يقم الملك المذكور بسرقة المسلة لبقت في بابل كما بقت بقية الاثار التي خلفتها لنا سلالة بابل الاولى، تلك الاثار التي لم نتمكن من الوصول اليها بسبب المياه الجوفية التي تغمر اثار الملك حمورابي واثار من خلفوه من ملوك السلالة المذكورة.

فالسرقة التي قام بها الملك العيلامي قد انقذت مسلة حمورابي من المصير الذي آلت إليه بقية مخلفاته. وهذا الانقاذ غير المقصود هو الذي تسبب في شهرة الملك حمورابي وعرف العالم اجمع بانجازاته الكبيرة وعرف المهتمين بشؤون القضاء ايضاً بان شريعة حمورابي ماهي إلا الاساس الذي تستند إليه المفاهيم القضائية في معظم دول العالم.

وهذه الحقيقة الخاصة بسرقة مسلة حمورابي تذكرنا بقول الله عز وجل

«وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم»، لان البابليين قد استاءوا بالتأكيد كثيراً عندما قام الملك العيلامي شتروك ناخونته بسرقة مسلة الملك حمورابي، حيث ماكان بأمكانهم ان يتصوروا بان هذه السرقة سوف تنقلب في القرن العشرين من بعد الميلاد لصالحهم وتسبب شهرتهم وشهرة الملك حمورابي.

مقدمة الشريعة

عندما (قضيا) الاله آنو المتسامي، ملك الانوناكي (= آلهة السماء) والاله اينليل سيد السماء والارض، مقر مصائر البلاد، قضيل لمردوخ الابن البكر للاله اينكي ان يتمتع بقدسية الاله اينليل على كل البشر وجعلاه عظيماً بين الايكيكي (= آلهة الارض)، وسميا بابل بأسمها العظيم وجعلاها المستقيمة في العالم، وثبتا له في وسطها ملكية ابدية اسسها ثابتة كالسماء والارض.

آنذاك اسمياني الالهان آنو واينليل بأسمي، حمورابي، الامير التقي، الذي يخشى آلهته، لاوطد العدل في البلاد، لأقضي على الخبيث والشر، لكي لايستعبد القوي الضعيف، ولكي يعلو العدل كالشمس فوق ذوي الرؤوس السود ولكي ينير البلاد من اجل خير البشر.

انا حمورابي الراعي، المدعو من قبل الاله اينليل، الذي يجعل الخير فيضاً وكثرة، االذي يموّن نيپور=مدينة نُفّر) دورانكي (= رباط السماء والارض)، بكل شيء، المصلح الورع لمعبد الايكور، الملك القدير، مُعيد مدينة اريدو الى مكانها (اي مجددها)، مطهر عبادة معبد الابسو، الذي ينشر سلطانه على جهات العالم الاربع، المعظم لاسم بابل، الذي يبهج قلب مردوك، الهه، الذي كرس وقته لخدمة معبد

ايساكيلا، نسل الملوكية، الذي انجبه الاله سين الذي جعل مدينة اور تزدهر. التقي، المتضرع، الذي جلب الخير الى معبد ايكش نوكال، انه الملك المتـأمل-المطيع للاله شمش العظيم، مثبت اسس مدينة سپار، الذي اعاد بناء معبد ايببار للإله شمش، معينه، انه السيد الذي انعش مدينة الوركاء، الذي جهز سكانها بفيض من الماء، الذي رفع عالياً قمة معبد اي انّـا، الـذي اغدق الثروة على الالهين آنو وعشتار، الحامي للبـلاد، الذي جمع شمل سكان مدينة ايسن المشردين، الذي غمر معبد ايكال ماخ بالثروة، ملك الملوك، الاخ المحبوب للاله زبابا، الذي اعاد تأسيس مساكن مدينة كيش، الذي احاط معبد «ايميتي اورساك» بالسنـاء، الـذي اتقن بناء المعابد الكبيرة للالهة عشتار، الحامي لمعبد «خـرسـاك كلاما»، مصيدة للاعداء، الذي جعله الاله «إرار» رفيقه ليحقق رغبته، الذي جعل مدينة كوثا قوية الشأن، الذي قدم كل شيء لمعبد «ميس لام انه الثور الهائج نطاح الاعداء، محبوب الاله توتو، مفرح مدينة بورسيپا، التقي، الذي لم يكن عائقا امام معبد ايزيدا، انه اله الملوك، مقروناً بالحكمة، الذي وسع الارض المزروعة التابعة لمدينة ديلبـات، الذي يخزن الحبوب للالهة «اوراش»، القوي، انه السيد المحلىٰ بالصولجان والتاج وفق امنية الآلهة ماما، الذي وضع التصاميم لمدينة لكش، الذي اعد الوليمة الفاخرة للالهة ننتو، الرزين المتكامل، الذي يهيىء المراعي ومحلات الشرب لمدينتي لكش وكرسو الذي يقدم القرابين بسخاء الى معبد اينينو، الذي يقبض على الاعداء، انه محبوب تيليتم، الذي ينفذ توجيهات مدينة زبالام بدقة، الذي يفرح قلب الالهة عشتار.

الامير اللامع، الذي يتقبل صلواته الاله ادد، الذي يريح قلب الاله ادد، انه المحارب الساكن في معبد كركرا، الذي نظم الشارات في معبد

«اي اودكال» ، انه الذي يمنح الحياة لمدينة «ماشكان شابر» الذي يغدق على معبد ميسلام بالشراب ، الحكيم ، الاداري ، الذي بحوزته ينبوع الحكمة ، المنقذ لشعب مدينة مالقوم ، الذي يبني بكثرة مرضاة للاله أينكي والالهة «دم كال نونا» ، الموسع لمملكته ، الذي يقدم الضحايا الطاهرة دائماً ، الاول بين الملوك ، المسيطر على مناطق نهر الفرات بأمر خالقه الاله دكان ، الذي احسن الى سكان مدينة ميرا ومدينة توتول .

الامير الورع الذي ينور وجه الاله تشباك ، المقيم للولائم العامرة للاله «نن ازو» ، المنقذ لشعبه من البؤس ، الذي يوطد اقدامهم باخاء وسط مدينة بابل ، راعي الرعية ، الذي تأتي ماثره ارضاءً للالهة عشتار ، الذي ينصب الالهة عشتار في معبد «اي اول ماش» وسط مدينة اكد ، الذي ساعد على اظهار الحق ، الذي يقود الشعب في الطريق المستقيم ، الذي اعاد الى مدينة اشور ملاكها الرحيم الحامي ، المنتصر على المشاغبين ، الملك الذي جعل القاب الالهة عشتار تبرز في نينوى وفي معبد «اي ميس ميس» ، انه الوقور الذي يصلي بخشية للالهة العظام ، انه خليفة (الملك) سومولائيل ، الابن القوي ، الوريث (للملك) سين موبلط ، انه النطفة الملكية العريقة ، الملك القوي ، شمس مدينة بابل ، الذي يرسل النور الى بلاد سومر واكد ، انه الملك الذي اخضع جهات العالم الاربع .

انا حمورابي ، محبوب الالهة عشتار ، عندما ارسلني الاله مردوك لقيادة سكان البلاد في الطريق السوي ولادارة البلاد ، وضعت القانون ودستور العدالة بلسان البلاد لتحقيق الخير للناس . في ذلك الوقت اصدرت مايلي :-» .

وفضلاً عن مقدمة الشريعة فقد انهى الملك حمورابي مواد شريعته بخاتمة طويلة كتبت بنفس اسلوب المقدمة وذكر فيها جميع الاعمال

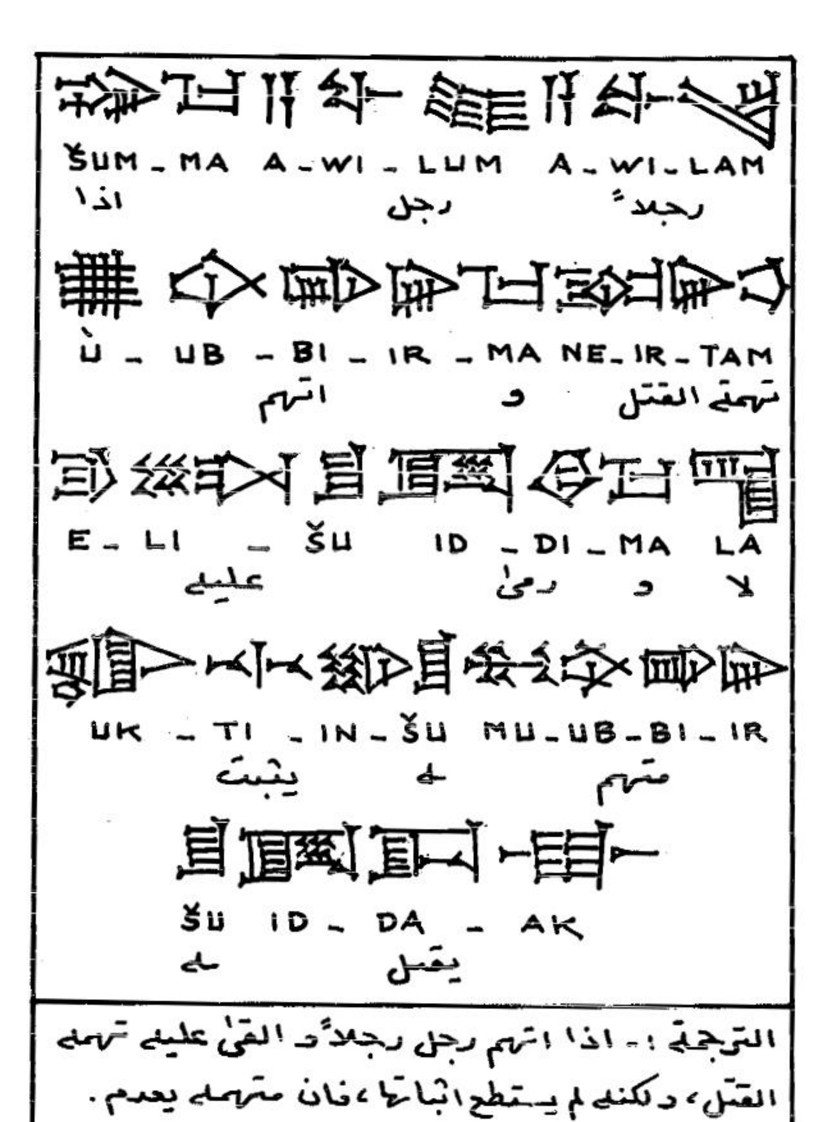
التي قام بها وختمها برجائه من آلهة البلاد جميعاً لتلعن كل من لايعمل بموجب هذه القوانين ومن يحاول طمسها وتخريبها او اضافة اسمه عليها.

وفيما يخص مواد الشريعة فقد قسمها في ثلاثة عشر قسماً وهي مسلسلة على الوجه التالي :-

القسم الاول ويتعلق بالقضاء والشهود

يحتوي هذا القسم على المواد التي تتعلق بالقضاء والشهود، ومن خلال مضمون مواد هذا القسم تأكد لنا ان حمورابي قد منح القضاة صلاحية اصدار العقوبة من دون الرجوع الى موافقته. وهذه الصلاحية قد سهلت مهمة القضاة في كافة ارجاء امبراطوريته، حيث لو لم يمتلك القضاة هذه الصلاحية لوجب عليهم اخذ موافقة الملك في كل حكم يصدرونه، وهذا مايؤخر مهمة القضاء وبالاخص في المناطق النائية عن مدينة بابل. وفضلاً عن ذلك فان حمورابي كغيره من الملوك الذين سبقوه قد قام ايضاً بفصل القضاء عن السلطة التنفيذية. ومما يدلل على صواب هذا الاجراء الذي قام به الملك حمورابي تجاه القضاء هو ان المحاكم حتى الوقت الحاضر وفي انحاء العالم منفصلة عن السلطة التنفيذية الموجودة في الولايات وتحكم باسم السلطة المركزية ووفق قوانينها ولاتأثير لحكام الولايات على قراراتهم. وهذا الاجراء ولاشك يمنع حكام الولايات من الاستبداد في تصريف شؤون القضاء.

ومقابل هذه الحرية التي حصل عليها القضاة في ممارسة واجباتهم فقد



نص المادة الاولى من شريعة حمورابي

وضع حمورابي عقوبات صارمة على القضاة انفسهم ان استغلوا القضاء لمنافعهم الشخصية او حادوا عن تطبيق العدالة الحقة. وخير شاهد على ذلك هي المادة الخامسة من شريعته، حيث تنص على مايلي :-

«اذا نظر قاضٍ قضية قانونية واصدر بخصوصها حكماً وثبّت الحكم على رقيم مختوم، وبعد ذلك غيّر قراره، فاذا ثبت ان ذلك القاضي قد غير حكمه في القضية التي نظر فيها، فعليه ان يتحمل عقوبة تلك الدعوى ويدفع اثني عشر مثلها، وفضلاً عن ذلك يطردوه بلا رجعة من مجلس القضاة ومن على كرسيه ولايحق له ان يجلس مع القضاة للنظر في دعوىٰ».

ومما يؤكد ان عقوبة القضاة المساومين في مهنتهم كانت صارمة، لانها تمثل اثني عشر ضعف عقوبة الافراد الاعتياديين، والدليل على ذلك هو منطوق المادة الرابعة :- «اذا برز رجل لشهادة كاذبة في دعوىٰ تتعلق بالحبوب او الفضة، فعليه ان يتحمل عقوبة تلك الدعوى».

وفيما يخص التهم الكاذبة التي تؤدي بالمتهم الى الموت اذا لم يثبت كذبها، فان عقوبتها الاعدام، لان اتهامك الناس من دون ادلة ثابتة قضية سهلة يستطيع كل انسان فعلها، ولذلك وجب على من يتهم الاخرين ان يكون متأكداً مما يقول، كي لايفلت المجرم الحقيقي وينال البريء العقاب بدلاً عنه، لان المبدأ المعتمد في القضاء البابلي يقول: ليفلت من القضاء مئة مجرم ولايذهب بريء واحد جراء الخطأ، لان المجرم الذي يفلت من وجه العدالة مرة او مرتين لابد له وان يمسك في المرة الثالثة او الرابعة، ولكن البريء الذي يعدم فلايمكن رد اعتباره حتى لو ثبتت براءته فيما بعد.

القسم الثاني ويتعلق بالسرقة والنهب

في الماضي وفي الحاضر يوجد بين شعوب العالم اجمعه عدد ليس قليل من الناس من يريد ان يحصل على المال والثروة عن طريق النصب والاحتيال والسرقة، ومثل هذه السلوكيات تؤثر ولاشك سلبياً على طبيعة الحياة داخل المجتمع، ولذلك وجب على السلطة التشريعية ان تتخذ الاجراءات اللازمة للحد من تأثير هؤلاء الناس على المجتمع.
ومواد القسم الثاني من شريعة حمورابي تعالج هذه الناحية، ومن خلال مضامين مواد القسم المذكور يبدو واضحاً ان اية سرقة يقوم بها الافراد مع سبق الاصرار على تنفيذها تكون عقوبتها الموت. اما اذا لم يتوفر في السرقة عامل سبق الاصرار فعقوبتها لاتكون الموت بل غرامة كبيرة جداً، ومع ذلك فان حجم هذه الغرامة كان يتوقف على المكانة الاجتماعية للجهة المسروقة. وخير شاهد على ذلك منطوق المادة الثامنة من مواد الشريعة :ـ اذا سرق رجل اما ثوراً او شاة او حماراً او خنزيراً او قارباً، فاذا كان الشيء المسروق يعود للاله (اي للمعبد) او للقصر، فعليه ان يدفع غرامة ثلاثين ضعفاً، واذا كان يعود الى مولى، فعليه ان يدفع عشرة اضعافه، فاذا لايملك السارق مايجب دفعه يعدم».
ان السبب الذي جعلنا نعتقد ان المواد المسروقة الواردة في المادة المذكورة لايتوفر فيها سبق الاصرار، لان الثور والشاة والحمار والخنزير والقارب تتواجد عادة خارج المعبد او القصر او البيت، ولذلك قد يصادفها الناس في اماكن لاتساعدهم على معرفة عائديتها بصورة مضبوطة فتغريهم على السرقة، ولذلك فان عقوبتها الغرامة، ومع ذلك فاذا عجز السارق عن دفع الغرامة فعقوبته الموت.

ŠUM - MA A - WI - LUM BI - TAM

بيتاً رجل اذا

IB - LU - UŠ I - NA PA - NI PIL - ŠIM

الثغرة امام في احدث ثغرة

ŠU - A - TI I - DU - UK - KU - ŠU - MA

تلك يقتلوا ه و

I - ḪA - AL - LA - LU - ŠU

يدفنوه (في الجدار)

الترجمة :- اذا احدث رجل ثغرة في دار ما (من اجل السرقة) ، فعليهم ان يحدوه امام تلك الثغره و يدفنوه في الجدار .

المادة (٢١) من شريعة حمورابي

ان هذه العقوبات الصارمة بحق السراق قد ساعدت كما يثبت ذلك الواقع على توفير الامان اللازم، ولهذا كان الناس مؤمّنين عند الدولة على ارواحهم واموالهم ضد السرقة والقتل الذي يحصل جرائها وخير شاهد على ذلك منطوق المادتين التاليتين :-

المادة ٢٣

«اذا لم يقبض على السارق، فعلى الرجل المسروق ان يعرض امام الاله عما فقده، وعلى المدينة والحاكم الذي حصلت في ارضه ومنطقته السرقة ان يعوضه ماسرق منه».

المادة ٢٤

«فاذا كانت نفس قد فقدت اثناء السرقة، فعلى المدينة والحاكم ان يدفع مناً واحداً (= ٥٠٥ غم) من الفضة لأهله».

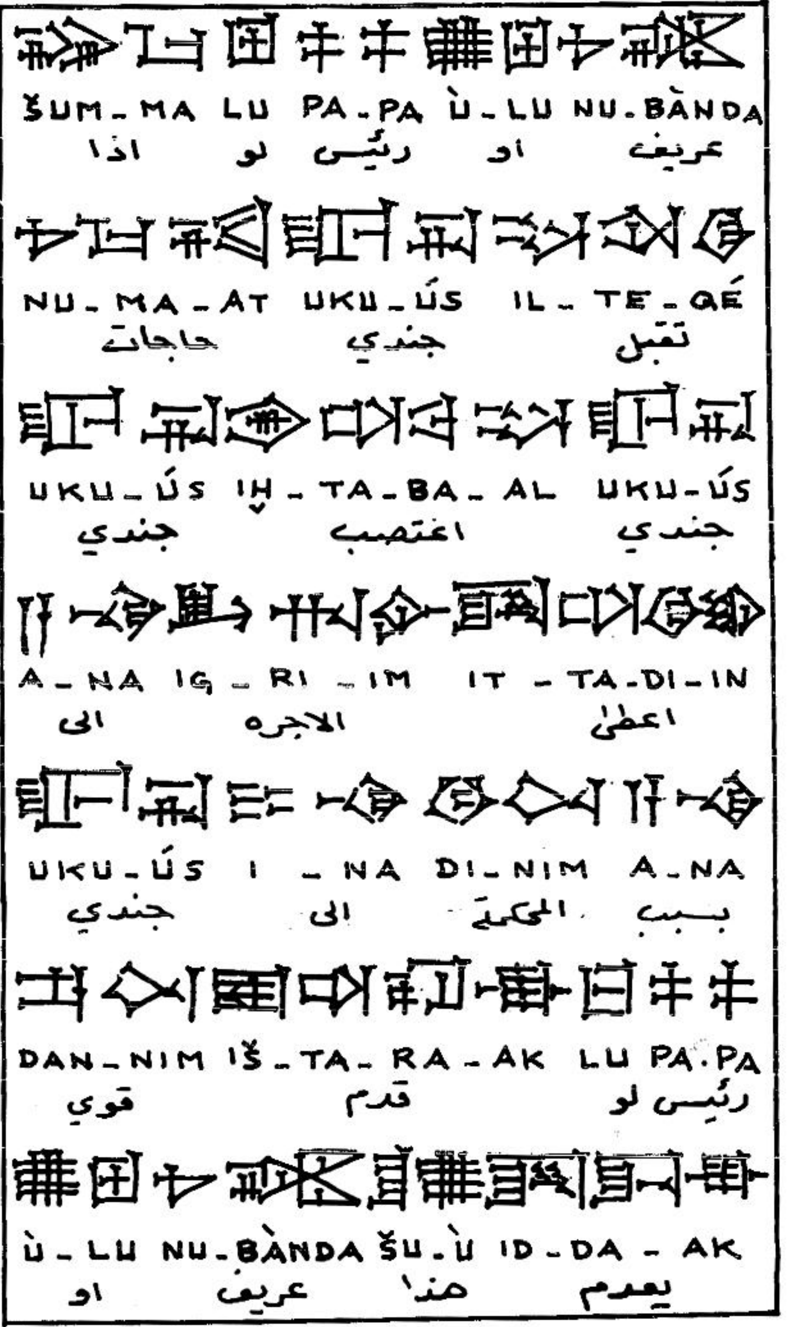
والحقيقة ان تأمين الدولة للناس على اموالهم وارواحهم من جراء السرقة ناحية لم نجد مايماثلها في مواد جميع القوانين التي سبقت شريعة حمورابي، ولهذا يمكننا ان ننسب هذا الاجراء الامني للناس ضد اعمال السرقة، للملك حمورابي دون غيره من بقية الملوك الذين سبقوه، وان دل هذا الاجراء الامني للناس على شيء فانما يدل على متانة الجهاز المسؤول عن حفظ الامن والاستقرار وقدرته على مكافحة الجريمة، ويدل في الوقت نفسه على قلة جرائم السرقة، حيث لوكانت السرقات على نطاق واسع لما تمكنت الدولة تعويض الناس مايصيبهم من خسارة جراء ذلك. وفي الختام لابد لنا وان نؤكد ان السبب المباشر في قلة جرائم السرقة راجع الى العقوبات الصارمة التي كانت تفرض على السراق.

القسم الثالث ويتعلق بشؤون الجيش

ان المواد الخاصة بشؤون بشؤون الجيش في شريعة حمورابي لم تتطرق الى الرتب العسكرية المختلفة ولا الى اصناف الجيش، بل قسمت العسكريين الى صنفين اساسيين هما الجنود وصيادي السمك. وعلى مايبدو ان المقصود بالجنود هم العسكريون المسلحون وبصيادي السمك، العسكريون غير المسلحين، الذين من مهامهم الاساسية صيد السمك.

وفيما يخص الرتب العسكرية في جيش الملك حمورابي فيمكننا اعتماداً على الرتب التي سادت بين جيوش العراق القديم منذ الفترة السومرية وحتى العصر الاشوري الحديث ان نقسمها على الوجه التالي: الشاكنكو وهو مايماثل رئيس اركان الجيش في الوقت الحاضر واللابتو، الذي كان يقود ٦٠٠ جندي و الوكلوم، الذي كان يقود في حدود ٣٠٠ جندي والعريف كان يقود في حدود ١٠٠ جندي، ثم الجندي.

وفيها يخص رواتب العسكريين المسلحين منهم وغير المسلحين فقد عالجها الملك حمورابي بنفس الاسلوب الذي كان متبعاً من قبله وذلك باقطاع الضباط والجنود بعض المواشي مع ارض زراعية يزرعونها ويستفادون من محاصيلها. وهذه المواشي والاراضي الزراعية المقطعة للجنود كانت غير قابلة لا للبيع ولاللتملك. ومن خلال الرسائل التي بعثها الملك حمورابي الى احد موظفيه في مدينة لارسا المدعو «سين ادينام» يبدو واضحاً ان اصحاب الرتب العسكرية العالية كانوا يمنحون اراضي واسعة ومواشي كثيرة بحيث وجب عليهم دفع



الترجمة : اذا تقبل رئيس او عريف حاجات من جندي او اغتصب (اموال) جندي او أعطى جندياً كأجير او قدم جندياً للمحاكمة بتأثير شخص قوي، فان هذا الرئيس او العريف يعدم .

الضرائب عنهـا للدولـة، اما اصحاب الرتب الصغيرة فكثيراً ماكانوا يعفون من الضرائب وذلك لقلة المواشي وصغر مساحة الاراضي التي كانوا يحصلون عليها. واي عسكري مهما كانت رتبته، اذا امتنع عن استغـلال ارضـه ومواشيه لاي سبب كان مدة ثلاث سنوات، تعطى ارضه ومواشيه الى شخص اخر، لان ترك المواشي والارض من دون استثمار لمدة ثلاث سنوات فاكثر يعتبر ذلك ضرراً في الانتاج الزراعي والحيـواني. ومن النـواحي الجديدة التي ادخلها الملك حمورابي على انظمة الجيش هو مايتعلق بالاسرى حيث ان المعلومات المتوفرة تؤكد ان الجنود الذين كانوا يؤسرون قبل فترة حمورابي كانوا يحولون الى عبيد في البلد الـذي يؤسرون فيـه، والـدولـة ليست مسؤولـة عن عتقهم وارجـاعهم الى بلدهم، ولكن الملك حمورابي قد خول التجار عتق الاسرى الـذين يصادفونهم اثناء ممارسة مهامهم التجارية في البلدان الاجنبية، والفدية التي يدفعها التاجر يأخذها من اموال الشخص الذي قام بعتقه ان كان ذلك الاسير موسور الحال واذا كان فقيراً ففديته تؤخذ من واردات المعبد ان كان المعبد غني الموارد، واذا عجز المعبد عن دفع الفدية فيقوم القصر بدفعها ولايجوز على الاطلاق اخذ مواشيه وارضه الزراعية التي اقطعتها له الدولة، مقابل فديته.

وفيـما يخص التخلف عن الخـدمـة العسكـريـة او الاسـاءة الى العسكـريـين فعقـوبته الاعدام وعقوبة كل من يساعد على ذلك من العسكريين والمادتين التاليتين دليل على ذلك:ـ

المادة ٣٣

«اذا وافق رئيس او عريف على تخلف جندي عن حملة الملك وقبل اجيراً وأرسله عوضاً عنه في حملة الملك، فان هذا الرئيس او العريف يعدم».

المادة ٣٤

«إذا تقبل رئيس او عريف حاجات من جندي او اغتصب اموال جندي او اعطى جندياً للمحكمة بتأثير شخص قوي، فان هذا الرئيس او العريف يعدم».

القسم الرابع خاص بالمزارع والبيوت

من خلال مواد هذا القسم يبدو واضحاً ان العرف السائد في المجالات الزراعية هو ان الشخص الذي يتعهد في زراعة حقل لايعود له ولم ينفذ تعهده، عليه ان يدفع لصاحب الحقل حاصلاً يساوي الحاصل المنتظر من زراعة ذلك الحقل، والشيء نفسه مع الاشخاص الذين يتسببون في اتلاف مزروعات حقول جيرانهم بسبب اغراقها بمياه السقي نتيجة الاهمال، ومع ذلك فان شريعة حمورابي قد حمت الفلاح من الاضرار التي تصيب الحقل المتعهد بزراعته والتي تقع خارج ارادته مثل الفيضان والاعاصير، حيث عفت الشريعة مثل هؤلاء الفلاحين من اي التزام اتجاه صاحب الحقل وعفته من الفائض المترتب عليه، وفضلاً عن ذلك فقد حمت الشريعة اصحاب الاراضي الزراعية

من التجـار والمـرابـين، حيث منعت التجار من السيطرة على حقول الاشخـاص المـدينين لهم ولم تسمح لهم بالتصرف بمحاصيلها مقابل الدين الذي بذمة اصحابها، بل عليهم الانتظار لحين ان ينمو المحصول ويباع ومن ثم تدفع لهم الديون، واضافة الى ذلك فان شريعة حمورابي كانت تعـاقب كل من يسيء الى بستان غيره من دون موافقة صاحب البستـان وخـير دليل على ذلك منطوق المادة (٥٩)، حيث ينص على مايلي :- «اذا قطع رجل شجرة في بستان رجل من دون موافقة صاحب البستـان، فعليـه ان يدفـع نصف منـا (٥ر٢٢٧ غم) من الفضـة». والشجرة المقصودة بهذه المادة لابد وان تكون شجرة مثمرة، لان الغرامة المادية المفروضة بخصوص قطعها تعتبر غرامة كبيرة، ولذلك نعتقد ان المقصود بالشجرة هي النخلة، لان النخيل كما هو معروف يمثل الشجر المثمر السائد في القسم الجنوبي من العراق.

وفيما يخص ايجار البيوت وعلاقة بعضها ببعض فان معظم المواد المتعلقة بهذا الموضوع قد اصابها التلف ولكنها مع ذلك قد وضحت لنا ان المالك الذي يؤجر داره لشخص ما ويدون بذلك عقداً، فلايحق له بعد ذلك المطالبة من المستأجر باخلاء داره الا بعد نفاذ مدة العقد او عليه ان يعيد مبلغ الايجار كاملاً غير منقوص كي يتمكن المستأجر من استئجار دار اخرى، وفضلاً عن ذلك يبدو مما تبقى من المواد المتعلقة بالبيـوت ان العرف السائد كان يلزم صاحب كل دار ان يجعل داره بحالة لاتؤثر على دار جاره او تكون سبباً لسطو اللصوص عليه، واذا لم يلتـزم اصحاب الدور بذلك يكون لزاماً عليهم ان يعوضوا جيرانهم الاضرار التي تصيبهم نتيجة السرقة.

ŠUM - MA A - WI - LUM NE - E IP - TE - MA

قد فتح الماء رجل اذا

EP - ŠE - TIM ŠA EQEL I - TI - ŠU

جاره بحقل الخاص العمل

ME - E UŠ - TA - BÍL BUR 10 ŠE GUR

كور شعير ١٠ بور خرب الماء

I - MA - AD - DA - AD

يعوض

الترجمة :- « اذا فتح رجل الماء وخرب العمل الذي انجز في حقل جاره ، فعليه ان يدفع (لجاره) عشرة كور من الشعير لكل بور (من مساحة الحقل) ».

ملاحظة :- البور = ٦٤٨٠٠ م٢ والكور = ٦٠٠ كغم

— المادة (٥٦) من شريعة حمورابي —

القسم الخامس خاص بالقروض ونسبة الفائدة

من الحقائق التي لاتقبل النقاش هو ان نشاط الاعمال التجارية والزراعية يعتمد بالدرجة الاساس على نسبة الفائدة المفروضة على الاموال المقرضة، فان كانت هذه النسبة ملائمة وتتناسب مع الارباح التي تحققها التجارة والاعمال الزراعية تتنشط تلك الاعمال، واذا كانت تفوق الحد المقبول فتتقلص الاعمال التجارية والزراعية، لان القروض تساعد صغار الملاك على المساهمة في الممارسات الزراعية والتجارية، ان كانت نسبة الفائدة معقولة، واذا فاقت الحد المقبول يتوقف صغار الملاك عن المساهمة في الاعمال المذكورة، وهذا ولاشك مايؤثر على الاسواق التجارية وعلى حركتها بشكل عام.

ومن خلال مواد القسم الخاص بالقروض تأكد لنا ان القروض كانت على نوعين، الاول القروض بفائدة والثاني القروض بدون فائدة. والقروض ذات الفائدة كانت تأخذ نسبة ٣٣٪ على قروض الشعير ونسبة ٢٠٪ على قروض الفضة. والسبب في هذا التفاوت بين نسبة فائدة قروض الشعير والفضة راجع الى ان التاجر الذي يتعامل مع مادة الشعير يحتاج الى مخازن كبيرة لحفظه لحين اقراضه الى صغار المزارعين، بينما عملية الحصول على الفضة وحفظها واقراضها للآخرين لاتحتاج الى نفس الكلفة والجهود التي تحتاج اليها عملية الحصول على الشعير، ولذلك نسبة فائدة الشعير اعلىٰ من نسبة فائدة الفضة.

والسبب الذي جعل الشعير دون الحنطة ليكون اساساً للمقايضة يعود الى انتشار الملوحة التدريجي في القسم الجنوبي من العراق والذي سبق وان تحدثنا عنه تحت عنوان «سلالة بابل الاولىٰ»، لان هذا

ŠUM – MA DAM – GÀR A – NA ŠMÁN – LA

بياعاً متجولاً الى تاجر اذا

KASPAM A – NA TA – AD – MI – IQ – TIM

الاشتغال من اجل فضة

IT – TA – DI – IM – MA A – ŠAR IL – LI – KU

ذهب حيث و قد اعطى

BI – TI – IQ – TIM I – TA – MAR QA.QA.AD

رأس قد واجه خسارة

KASPAM A – NA DAM – GÀR Ù – TA – AR

يعيد التاجر الى المال

الترجمة : - « اذا اقرض تاجر بياعاً متجولاً نقوداً من اجل الاشتغال ، و لكنه تكبد خسارة حيثما ذهب ، فعليه ان يعيد الى التاجر رأس المال فقط »

– المادة (١٠٢) من شريعة حمورابي –

الانتشار للملوحة دفع الناس الى الغاء زراعة الحنطة والتوجه بالدرجة الاساس الى زراعة الشعير، لان مادة الشعير تتحمل نسبة عالية من الملوحة .

وفيما يخص القروض التي كانت من دون فائدة فقد اقرها المجتمع وتبنتها كذلك شريعة حمورابي لما فيها من جانب انساني ، حيث يحدث كثيراً ان يقرض قريب قريبه او صديق صديقه قرضاً بلا فائدة او غني عطف على فقير فيقرضه مالاً من دون فائدة . ولكن التجربة العملية التي لمسناها من خلال النصوص الاقتصادية قد بينت لنا بصورة لاتقبل الشك ان القروض التي كانت من دون فائدة قد اصبحت الاساس الذي تعتمد عليه السوق السوداء ومرابيها، لان الاشخاص الذين يبغون الحصول على فائدة اعلىٰ من نسبة الفائدة الرسمية لايستطيعون تثبيت مطلبهم ضمن القروض ذات الفائدة ، لأنهم ان سجلوا في العقد فائدة بنسبة اعلىٰ من النسبة المقررة فسوف يخسرون حتى المال الذي اقرضوه ، ولذلك لجأ تجار السوق السوداء الى القروض العديمة الفائدة ، حيث يستطيعون في مثل هذه القروض ان يضيفوا الفائدة المطلوبة الى اصل المبلغ المقترض ويعتبرون العقد من دون فائدة . فاذا اقرض تاجر السوق السوداء على سبيل المثال مئة شيقل من الفضة الى رجل بفائدة قدرها ١٠٠٪ يسجل في العقد ان المبلغ المقترض هو مائتي شيقل من الفضة ، اي انه يعتبر الفائدة من جملة المال المقترض ، وبهذا الاسلوب لايضطرون الى ذكر نسبة الفائدة الحقيقية ويذكرون بدلاً عنها ان العقد من دون فائدة .

وعلى الرغم من علم الملك حمورابي ان السوق السوداء قد استغلت لصالحها القروض عديمة الفائدة ولكنه لم يقدم على الغائها ، لان هذا النوع من القروض قد استفاد منه ايضاً من لديهم الرغبة الحقيقية في

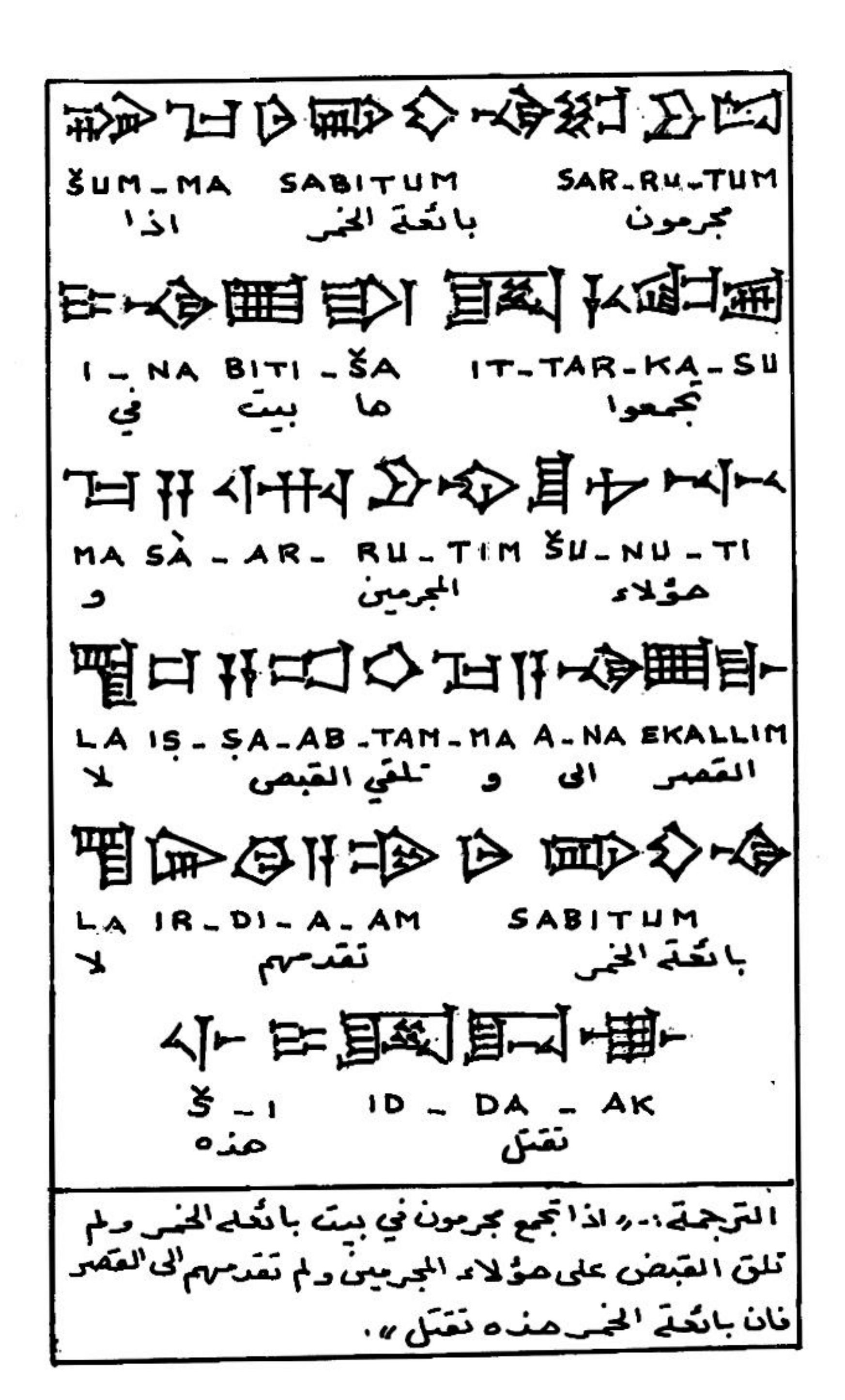
مساعدة الناس من دون الحصول على اي مقابل . وختاماً نقول لايمكن لاية معاملة او اتفاق في مجال القروض ان يكون قانونياً مالم يدون بعقد ويشهد عليه الشهود .

القسم السادس خاص ببائعات الخمر

من خلال المواد الخاصة بهذا القسم يبدو واضحاً بان مهنة بيع الجعة والخمور كانت مقصورة على النساء فقط ويبدو ايضاً ان هذه المهنة لم تكن من المهن المحترمة في المجتمع البابلي ، ولذلك اذا ثبت على كاهنة انها قد دخلت محلاً لشرب الخمور فان عقوبتها الحرق بالنار ، والمادة (١١٠) من شريعة حمورابي دليل على ذلك ، حيث تنص على مايلي :ـ «اذا لم تقم كاهنة الناديتوم والاينتوم في الدير وفتحت حانة للخمر أو دخلت حانة للخمر لشرب الجعة ، فعليهم ان يحرقوا تلك المرأة» .

والسبب الذي جعل هذه المهنة غير محترمة راجع الى نوعية الاشخاص الذين يرتادون هذه المحلات ، حيث ان المادة (١٠٩) تؤكد ان المجرمين والمحتالين كانوا من رواد هذه المحلات الاساسيين ، حيث تنص على مايلي :ـ «اذا تجمع محتالون (= مجرمين) في بيت بائعة الخمر ولم تلق القبض على هؤلاء المحتالين ولم تقدمهم الى القصر ، فان بائعة الخمر هذه تعدم» .

وهذه المادة توضح لنا ايضاً بان السلطات المسؤولة عن حفظ الامن في البلاد قد فرضت على بائعات الخمر التعرف على السراق والمجرمين والزمتها بتسليمهم اليها ، ولهذا يمكننا الافتراض ان هناك عدداً من الرجال الاقوياء الذين كانوا يحمون بائعة الخمر من سلوكيات الزبائن



— المادة (١٠٩) من شريعة حمورابي —

التي تسيء الى حفظ الامن داخل الحانة، وكان هؤلاء الاشخاص ملزمين بالقبض على من تشتبه به صاحبة الحانة بانه قد قام بجريمة او سرقة، حيث ان مثل هذه الاماكن كانت مفضلة من قبل المجرمين والسراق.

وبناءً على ماتقدم يمكننا الافتراض بان محلات شرب الخمور انذاك كانت تشبه الى حدٍ ما الملاهي في وقتنا الحالي مع الفارق طبعاً، لان الفترة الزمنية طويلة جداً بين حانات ذلك الزمان وبين الملاهي في الوقت الحاضر.

القسم السابع خاص بالائتمان والديون

بالنظر لكون معظم دور السكن القديمة كانت مبنية من اللبن، فهي اذن ابنية يمكن ان يخترقها السراق بسهولة وذلك من خلال احداث فتحة في الجدار وسرقة مايمكن سرقته، ومما يؤكد ذلك هي المادة (٢١)، التي تنص على مايلي:ـ «اذا احدث رجل ثغرة في دار ما، من اجل السرقة، فعليهم ان يعدموه امام تلك الثغرة ويقيموا عليه الجدار (اي يدفنوه داخل الجدار)».

ولهذا السبب بالذات كان الناس الذين يمتلكون اموالاً يخافون عليها من السرقة وبالاخص في حالة تغيبهم عن بيوتهم وعدم وجود من يحمي تلك الاموال، ولهذا كانوا مضطرين الى حفظها لدى الاشخاص الذين يمتلكون بيوتاً متينة البناء ومشيدة بالطابوق، بحيث يصعب على السراق ان يحدثوا ثغرة في جدرانها، وهذه البيوت المتينة البناء كانت مقام المصارف في الوقت الحاضر، ولذلك وجب على القضاء تنظيم العلاقة فيما بين صاحب المال وبين الشخص الذي يقوم بحفظ ذلك

المال. وفي مقدمة الاجراءات التي يجب ان تتخذ في هذا المجال هو ان يدون عقد يثبت فيه نوعية المال وكميته ويُشهد على ذلك الشهود ومما يؤيد ذلك المادتان (١٢٢) و (١٢٣) من شريعة حمورابي، حيث تنصان على مايلي :-

المادة (١٢٢) «اذا اعطىٰ رجل فضة او ذهباً او اية اموال اخرىٰ الى رجل اخر للمحافظة عليها، فعليه ان يُشهد الشهود على مايعطيه، وعليه ان يدون عقداً بذلك، عندئذ يستطيع ان يعطي امواله للمحافظة عليها».

المادة (١٢٣) «فاذا اعطى امواله بلا شهود ولاعقد مكتوب للمحافظة عليها، وبعد ذلك انكرها صاحب المكان الذي اودعها فيه، فان هذه القضية لاتحتاج الى اقامة دعوىٰ».

اما اذا دوّن الشخص عقداً وشهد عليه الشهود عندما اعطىٰ امواله للمحافظة عليها، ومع ذلك انكرها الشخص الذي قام بالمحافظة على امواله، فعقوبة هذا الشخص هي ان يدفع ضعف ماانكره.

ومن خلال بقية المواد الخاصة بهذا القسم يبدو واضحاً ان الاجور التي يدفعها من يودع امواله عند شخص اخر تساوي ٥ر١٪ من مجموع قيمة الاموال المودعة.

وقبل الانتقال الى فقرة اخرى نود ان نشير الى الحقيقة التي تطرقنا اليها في حديثنا عن القسم الثاني الخاص بالسرقة والنهب وهي ان الدولة كانت مؤمنة للناس ضد السرقة والقتل الناشيء جراءها، وهذه الناحية قد فسحت المجال امام المحتالين للادعاء بسرقة اموالهم او انهم يبالغون في كمية المواد المسروقة، ولذلك كانت الدولة تعاقب هؤلاء المحتالين بتغريمهم ضعف الكمية التي يطالبون بها والدليل على ذلك المادة (١٢٦) من شريعة حمورابي :- «اذا لم يفقد رجل شيئاً يعود له، ولكنه

ادعىٰ: «ان اموالي قد فقدت» وخدع بذلك مجلس بلدته، فعلىٰ مجلس بلدته ان يبرهن امام الاله انه لم يفقد شيئاً يعود له، وعندئذ عليه ان يدفع مضاعفاً لما اشتكى بسببه الى مجلس بلدته».

وفيما يخص الديون فقد سبق وان تحدثنا عن نسب فوائدها ولكن الذي اكدت عليه مواد هذا القسم هو ان الدائن لايجوز له على الاطلاق اخذ دينه من اموال المدين من دون موافقته، والناحية الثانية التي اكدت عليها مواد هذا القسم هو ان المدين الذي يضع زوجته او ابنه اوابنته تحت عبودية دائنه بسبب عجزه عن دفع مابذمته، فان عبودية هؤلاء لايجوز ان تستمر اكثر من ثلاث سنوات مهما كانت كمية الدين.

القسم الثامن خاص بالزواج والعائلة والتبني

إن نظام الزواج خلال فترة حكم الملك حمورابي كان يعتمد مبدأ الزوجة الشرعية الواحدة، اي بمعنىٰ ان الرجل ماكان يجوز له اطلاقاً ان يحتفظ بزوجتين شرعيتين في آن واحد، الا في حالة واحدة، وهي عندما تصاب زوجته الاولى بمرض عضال فيحق له الزواج بثانية مع شرط الاحتفاظ بالزوجة الاولى. اما اذا فضلت الزوجة الاولى الطلاق والرجوع الى بيت ابيها فيحق لها ذلك.

وفضلاً عن مبدأ الزوجة الواحدة فان شريعة حمورابي قد حرمت الطلاق الكيفي ولكنها اباحته في الحالات التي تنسجم والهدف الاساس من الزواج، ولذلك يحق للرجل ان يطلق زوجته في حالتين فقط، الاولى عندما لاتمتلك زوجته القدرة على انجاب الاطفال، والحالة الثانية عندما تسيء سلوكيات الزوجة الى سمعة زوجها، وهذا الحق

الثاني في طلاق الزوج لزوجته تتمتع به الزوجة كذلك، حيث اذا ثبت للقضاة ان سلوكيات الزوج تسيء فعلاً الى سمعة زوجته فلها الحق في طلاق زوجها.

ومادامت سمعة الزوج والزوجة تؤثر كثيراً على العلاقة الزوجية، لذلك تشددت شريعة حمورابي مع من يسيء الى سمعة النساء من دون مبرر، حيث تشير المادة (١٢٧) من شريعة حمورابي الى مايلي: ؛- «اذا تسبب رجل في ان يشار بالاصبع الى كاهنة الاينتوم او الى زوجة رجل، ولكنه لم يثبت اتهامه، فعليهم ان يجلدوا هذا الرجل امام القضاة وان يحلقوا نصف شعر رأسه».

هذا ويشترط في الزواج الشرعي ان يكون مثبتاً في عقد رسمي، وهذا ماأكدت عليه المادة (١٢٨) حيث جاء فيها: «اذا اتخذ رجل زوجة له ولم يدون عقدها (اي عقد الزواج)، فان هذه المرأة ليست زوجة شرعية».

والحقيقة ان شريعة حمورابي لم تفرق على الاطلاق بين الرجل والمرأة من حيث الحقوق الزوجية لكل واحد منهما، فعندما منحت الشريعة الحق للرجل بطلاق زوجته غير القادرة على الانجاب والزواج بأمرأة ثانية، قد منحت الحق نفسه للمرأة عندما لايستطيع الرجل ان يؤدي واجباته الزوجية اتجاه زوجته، حيث منحت الشريعة الحق للزوجة التي يبتعد زوجها لاي سبب كان ولم يترك لها ما يعيلها، فلها الحق في الزواج من رجل ثانٍ، وخير شاهد على ذلك المادة (١٣٤): - «اذا أسر رجل ولم يترك في بيته الطعام الكافي، ودخلت زوجته بيت رجل ثان، فان هذه المرأة لاذنب لها».

وفيما يخص زواج الكاهنات فلا خلاف فيه عن زواج النساء الاعتياديات ماعدا حالة واحدة برزت واضحة في مواد شريعة

ŠUM - MU A - WI - LUM AŠ - ŠA - TAM

زوجةً رجل اذا

I - ḪU - UZ - MA RI - IK - SA - TI - ŠA

ها عقد اخذ (اي تزوج)

LA IŠ - KU - UN SINNIŠTUM ŠI - I

هذه المرأة يدون لم

Ú - UL AŠ - ŠA - AT

زوجة شرعية ليست

الترجمة :- « اذا اتخذ رجل زوجةً ولم يدون عقدها، فان هذه المرأة ليست زوجة شرعية ».

— المادة (١٢٨) من شريعة حمورابي —

حمـورابي، وهـذه الحـالـة تتعلق بزواج الكاهنات من نوع الناديتوم والاينتوم، حيث سمحت لهن الشريعة بالزواج ولكنها حرمت عليهن انجـاب الاطفال. ومن خلال دراسة النصوص المسمارية التي سبقت شريعة حمورابي تبين لنا بان هذا النوع من الكاهنات كان يقوم بدور العروس في طقس الزواج المقدس، الذي هو زواج يهدف الى زيادة الـوفـرة في البلاد، ولذلك كان العريس يقوم بتمثيل دور الاله تموز والعروس بدور الالهة عشتار، والاطفال الذين كانوا يتودلون عن هذا الزواج كانوا في الكبر يدعون الالوهية على اعتبار انهم نتجوا عن ابوين كل منهما كان يتقمص دور اله. وهذه الناحية كانت تؤثر على الملوك في ادارة شؤون البلاد وبالاخص عندما تستغل من الخصوم، ولذلك كان يصـعـب على الملوك ان يحكمـوا شعـوبهم ومن بينهم عدد يدعي الالوهية، ولهذا تشير المعلومات ان الملوك الاوائل لسلالة بابل الاولىٰ قد منعوا هذا النوع من الكاهنات من انجاب الاطفال لتفادي ظاهرة تأليه هؤلاء الاطفال في الكبر لأنفسهم، وقد ظهر هذا التحريم واضحاً في شريعة حمورابي، حيث ان كاهنة الناديتوم او الاينتوم اذا تزوجت رجلاً عليها ان تهديه امرأة لتقوم هذه المرأة عوضاً عنها بانجاب الاطفال لزوجها وخير شاهد على ذلك المادة (١٤٤) حيث تنص على مايلي: «اذا تزوج رجـل كاهنة ناديتوم واعطت هذه الكاهنة لزوجها امة وبذلك تسببت في ان يكون له اولاد، فاذا عزم الرجل على الزواج من كاهنة الشوكيتوم فلا يسمح له بالزواج، وعليه ان لايتزوج الشوكيتوم». ومنع هذا النوع من الكاهنات من انجاب الاطفال قد تسبب فعلاً في عدم ظهور من يدعي الالوهية خلال فترة حكم سلالة بابل الاولىٰ.

وفيما يخص موضوع التبني فان مواد شريعة حمورابي قد بينت لنا نوعين من انواع التبني، الاول يتمثل بتبني الاطفال منذ ولادتهم من

قبل العوائل التي لم ترزق بالاطفال، وفي مثل هذا النوع من التبني يفقد الطفل علاقته بعائلته نهائياً ولايحق لوالديه استرجاعه فيها بعد، والمادة (١٨٥) توضح هذه الحقيقة :ـ «اذا تبنىٰ رجل طفلاً ليسمىٰ بأسمه وقام بتربيته، فلا يطالب بذلك الطفل المتبنىٰ».

والنوع الثاني من التبني يتمثل بتبني الاولاد وهم في سن السابعة من العمر، ومن شروط هذا النوع من التبني هو ان يعلم الرجل حرفته للولد الذي تبناه، واذا لم يعلمه حرفته فيعتبر هذا التبني باطلاً، وفي المادتين التاليتين الشاهد على ذلك :ـ مادة (١٨٨) «اذا اخذ حرفي ولداً ليربيه (اي ليتبناه) وعلمه عمل يده (حرفته) فلا يطالب به».

مادة (١٨٩) «فاذا لم يعلمه عمل يده، يحق لذلك الولد المتبنىٰ الرجوع الى بيت ابيه». والسبب في هذا النوع من التبني راجع الى طبيعة الحياة انذاك، حيث لم يكن انذاك اي ضمان اجتماعي للموظفين والحرفيين والعمال، فرب العائلة لايعتمد الا على اولاده لان القانون يلزم الاولاد باعالة ابائهم عند المرض او العجز او الكبر، ولذلك فان اصحاب الحرف كانوا لايعلمون حرفتهم الا الى اولادهم ليضمنوا بذلك مستقبلهم ومستقبل اولادهم. اما اذا لم يرزق الحرفي بولد فهو لايعلم غريباً حرفته الا بعد تبنيه، حيث ان عملية التبني هذه تلزم الولد المتبنىٰ باعالة الشخص الذي تبناه في حالة المرض او العجز او الكبر.

وهذا النوع من التبني ماهو الانوع من الضمان الاجتماعي بالنسبة للحرفيين الذين لم يرزقوا بولد. والحقيقة ان شريعة حمورابي لم تحقق الضمان الاجتماعي للاباء والحرفيين فقط وانما للأبناء ايضاً، حيث منعت الشريعة الاباء من حرمان ابنائهم من الميراث، الا في حالة ان يكون الابن عاقاً فعلاً والمادتان التاليتان شاهد على ذلك: المادة (١٦٨) «اذا قرر رجل ان يحرم ابنه من الارث، وقال للقضاة :ـ اريد ان احرم ابني

من الارث ـ، فعلى القضاة ان يدرسوا سلوكه (اي سلوك الابن) فاذا لم يقترف الابن اثماً كبيراً يستوجب حرمانه من الارث، فلا يحق للوالد حرمان ابنه من الارث».

المادة (١٦٩) «اذا اقترف الابن اثماً كبيراً يستوجب حرمانه من الارث، عليهم ان يعفوا عنه لاول مرة، واذا اقترف اثماً كبيراً للمرة الثانية، يحق للوالد ان يحرم ابنه من الارث».

القسم التاسع خاص بمبدأ القصاص والغرامات

لقد سبق وان بيّنا بان مبدأ القصاص قد فرضته الحالة الاقتصادية لكثير من الاقوام التي خضعت لسلطات سلالة بابل الاولى، لان مبدأ الغرامة مع هذه الاقوام يعتبر عقاباً تعجيزياً بالنسبة لهم، بينما مبدأ القصاص ممكناً ويعطي للمسيء عقاباً مساوياً لنوعية الجرم الذي ارتكبه، وكمثال على ذلك المواد التالية من شريعة حمورابي:ـ

المادة (١٩٦) «اذا فقأ رجل عين رجل آخر، فعليهم ان يفقأوا عينه».

المادة (١٩٧) «اذا كسر رجل عظم رجل آخر، فعليهم ان يكسروا عظمه».

ولكن الواقع الحقيقي للمجتمع البابلي وللطبيعة البشرية تجعل مبدأ القصاص عاجزاً ايضاً في بعض الحالات عن تحقيق العدالة الحقة، ولذلك اضطر المشرع البابلي ان يستخدم مبدأ الغرامة في الحالات التي يعجز القصاص ان يحقق العدالة فيها. وكمثال على ذلك المادة (١٩٥) التي تنص: «اذا ضرب ابن اباه، فعليهم ان يقطعوا يده» والمادة (١٩٨) «اذا فقأ رجل عين مولىً او كسر عظم مولى، فعليه ان يدفع مناً واحداً

ŠUM - MA A-WI-LUM I-IN MAR

ابن عين رجل اذا

A-WI-LIM ÚḪ - TAP - PI - ID

قد فقأ رجلٍ

I - IN - ŠU Ú - ḪA - AP - PA - DU

يفقأوا عينه

الترجمة :- « اذا فقأ رجل عين ابن رجل، عليهم ان يفقأوا عينه ».

من الفضة»، لان الرجل البابلي اعلى منزلة اجتماعية من المولى ولذلك لايكون عدلاً بالنسبة الى هذه الاعتبارات الاجتماعية عندما يستخدم معها مبدأ القصاص، ولذلك فرضت الشريعة غرامة مادية لتحقق العدالة في الموضوع، وعندما لاتكون الغرامة المادية منسجمة مع الاعتبارات الاجتماعية فقد استخدمت الشريعة عقوبات اخرى كما هو الحال في مضمون المادة (٢٠٢) «اذا صفع رجل خد رجل ارفع منه، فيجب ان يضرب علناً ستين جلدة بسوط من ذنب الثور». ومن المخالفات الاخرى التي لايمكن على الاطلاق استخدام مبدأ القصاص

فيها هو ماورد في المادة (٢٠٩) «اذا ضرب رجل بنت رجل اخر وسبب لها اسقاط ما في جوفها (اي جنينها)، فعليه ان يدفع عشرة شيقلات من الفضة لاسقاط ما في جوفها». اما اذا توفيت بنت الرجل من جراء الضربة فالقصاص في هذه الحالة يتناسب مع الذنب ولذلك نصت المادة (٢١٠) على ضرورة قتل بنت الرجل الذي تسبب في وفاة تلك البنت، لان الرجل الذي تسبب في موت البنت الحامل يكون قد قتل نفسين في آن واحد، ولكي يعاقب على قدر جرمه تقتل ابنته ليكون عبرة لمن يستهتر بارواح الاخرين.

مما تقدم يبدو واضحاً ان مبدأ العقاب بالغرامة قد ظهر الى حيز الوجود بسبب الحالات التي يعجز فيها مبدأ القصاص من تحقيق العدالة، وكلما كانت المجتمعات تتطور حضارياً واقتصادياً كانت كفة العقاب بالغرامة ترتفع على كفة العقاب بمبدأ القصاص، ولهذا السبب بالذات تكاد تكون معظم المجتمعات في عالمنا الحاضر قد هجرت مبدأ القصاص بالمثل وعوضته بالغرامة او السجن، ومع ذلك فان الكثير من قوانين الشعوب لاتزال تستخدم مبدأ القصاص مع بعض الجرائم وبالاخص في حالات القتل حيث يعاقب المجرم بالمثل.

القسم العاشر خاص بالطب والطب البيطري

ان المواد الخاصة بهذا القسم لاتتعلق بمهنة الطب عموماً بل هي مقتصرة على العمليات الجراحية، والسبب في ذلك يعود الى ان الحروب كافة بالرغم من قساوتها والدمار الذي تحدثه الا انها ماكانت تخلو من بعض الفوائد، حيث ان الحروب الواسعة التي شنها الملك حمورابي من اجل اقامة الوحدة الشاملة في البلاد قد تسببت في تطوير مهارة

الجراحين وجعلتهم في مستوى من القدرة والخبرة بحيث كانوا قادرين على اجراء عمليات جراحية كبرى والدليل على ذلك هي المادة (٢١٥) «اذا اجرى طبيب عملية لرجل بسكين العمليات وانقذ حياة الرجل، وفتح محجر عين رجل بسكين العمليات وانقذ عين الرجل، فعليه (اي الطبيب) ان يستلم عشرة شيقلات من الفضة». والناحية الملفتة للنظر في اجور العمليات الواردة في مواد هذا القسم هي انها تتناقص مع نقصان المرتبة الاجتماعية للمريض. فاذا اجرى الطبيب نفس العملية الجراحية الواردة في المادة (٢١٥) لمولى، عليه ان يتقاضى خمس شيقلات من الفضة، بينما الفرد البابلي يدفع عشرة شيقلات. واذا اجرى نفس العملية الى عبد، فعليه ان يتقاضى من العبد شيقلين من الفضة.

ان هذه التشريعات الخاصة باجور العمليات الجراحية وان هي لاتخلو من حماية مادية للأشخاص الذين يمتلكون العبيد، ولكنها في الوقت نفسه قد راعت الجانب الانساني كثيراً، حيث ان الموالي والعبيد يعملون ويخدمون عند الاغنياء من الناس وهم الذين يتعرضون في الغالب الى الاضرار الجسدية نتيجة الاعمال التي كان عليهم القيام بها، فلو كانت اجور عملياتهم مرتفعة قد تمنع صاحب العبد من معالجة عبده ولكن قلة الاجور تجعل الاسياد لايترددون عن معالجة عبيدهم.

هذا وان شريعة حمورابي قد وضعت في حسبانها الاهمال الذي قد يرتكبه بعض الجراحين مع مرضاهم وخاصة اذا كانوا من بسطاء الناس، ولذلك عاقبت الطبيب الذي يتسبب في امانة مريضه نتيجة الاهمال بقطع يده. ومثل هذه العقوبة ولاشك تدفع الطبيب الى الاعتناء بمريضه اثناء اجراء العملية، كي لايفسر فشل العملية بانه فشل ناتج عن تقصير الطبيب.

وفيما يخص الطب البيطري فقد حددت الشريعة اجور العمليات الجراحية الكبرى التي يجريها الطبيب للثور او الحمار بسدس ثمن الحيوان. وفي حالة فشلها وموت الحيوان، فعلى الطبيب البيطري ان يدفع لصاحب الحيوان خمس ثمنه فضة. وهذا العقاب للطبيب البيطري في حالة فشل عمليته الجراحية سببه بالتأكيد حث الطبيب لان يبدي عنايته الفائقة اثناء قيامه بالعملية الجراحية، لان الحالات الميئوس من شفائها بأمكان الطبيب البيطري ان يشخصها ويمتنع عن معالجتها جراحياً.

هذا وقد يسأل البعض ويقول لماذا اقتصرت العمليات الجراحية للطبيب البيطري على الثور والحمار وانثى كل واحد منهما فقط. للجواب على ذلك نقول ان الحصان في زمن تدوين الشريعة كان لايزال نادراً في العراق وغير مدجن. وفيما يخص بقية الحيوانات مثل الخروف والعنز فعند تعرضها للاصابات الجسدية كانت تذبح ويستفاد من لحومها لان معالجتها وابقائها على قيد الحياة لاينفع أصحابها بشيء في حين بقاء الثور والحمار على قيد الحياة ينفع صاحبه في مجال التحميل والنقل وسحب العربة او المحراث.

مما تقدم يبدو واضحاً ان شريعة حمورابي قد اكدت على الجانب الانساني تأكيداً كبيراً وحرصت كل الحرص على دفع الجراحين بالاعتناء كلياً بمرضاهم سواء كانوا بشراً او حيوانات، لان الاهمال في العمليات الجراحية قد يودي بحياة من اصابته ليست خطيرة والعناية الفائقة قد تشفي من هو ميئوس منه.

القسم الحادي عشر خاص باجور البناء والسفن

مما لاشك فيه ان الاسعار والاجور في اي مجتمع من المجتمعات قابلة لان تكـون وسيلة لاستغـلال النـاس وان يظلم فيهـا القـوي الضعيف، واي مجتمـع لا يتحكم بهـذه النـاحيـة بالذات تسود فيه الفوضىٰ ويستشري في الاستغلال البشع، الذي يمنع الحياة من ان تسير في ذلـك المجتمـع بصورة طبيعية، ولذلك حرص الحكام منذ فترات قديمة على الاهتمام بهذه الناحية ووضع القيود التي تمنع الاستغلال. ومواد هذا القسم من شريعة حمورابي قد وضعت الحد الادنىٰ المقبول لاجـور بنـاء البيوت وصيانة السفن، لان هاتين الناحيتين لهما علاقة مباشرة وكبيرة بالناس وبطبيعة المجتمع انذاك.

والسبب الـذي جعل شريعة حمورابي تضع الحد الادنىٰ للاجور والاسعار فقط راجع الى رغبتها في حماية الناس من الاستغلال، وعدم ذكرها للحد الاعلىٰ راجع بالتأكيد ايضاً الى عدم رغبتها بالوقوف بوجه الفائدة التي يمكن ان يحصل عليها الصناع والعمال اذا كان رب العمل مستعداً لان يدفع بنسبة اعلىٰ من الحد الادنىٰ للاسعار والاجور.

ومـا لاشك فيه ان مهنة بناء البيوت لها علاقة وثيقة بحياة الناس ولذلك وجب على الشريعة ان تحدد في موادها الحد الادنىٰ لاجور بناء البيوت وان تؤكد ايضاً على ضرورة الاخلاص الذي يجب ان يتوفر عند البناء عند اداء واجبه ولتوضيح ذلك نعرض منطوق المادة (٢٢٨) «اذا بنىٰ بناء داراً لرجل واكمله له، فعليه (اي على صاحب الدار) ان يدفع له (للبناء) شيقلين (= ١٦٫٨ غم) من الفضة عن كل سار (= ٣ م^{٢}) من مساحة الدار مكافأة له».

ŠUM – MA ŠITIM BITAM A – NA A-WI-LUM

رجل الى بيتاً بناء اذا

I – PU – UŠ – MA Ú – ŠA – AK – LI – IL –

اكمله و قد بنى

ŠUM A – NA 1 SAR BITIM 2 ŠIQIL KSPAM

فضة شيقل ٢ من البيت سار ١ مقابل له

A – NA QÍ – IŠ – TI – ŠU I – NA – AD – DI

يدفع له مكافأة كـ

IŠ – ŠUM

له

الترجمة :- « اذا بنى بناء داراً لرجل واكمله له، فعليه (اي على صاحب الدار) ان يدفع له (للبناء) شيقلين (= ٨,١٦ غم) من الفضة عن كل سار (= ٢٢م^٢) من (مساحة) الدار مكافأة له » .

ــ المادة (٢٢٨) من شريعة حمورابي ــ

والمـادة (٢٢٩) تتحـدث عن معـاقبة البناء بمبدأ القصاص عندما يسقط الدار الذي قام ببنائه، حيث يعاقب البناء بنفس نوعية الضرر الـذي يسببه سقوط الدار. ومن الامور التي لها مساس مباشر بحياة البـابليين انذاك هي صناعة السفن، لانها كانت الواسطة الرئيسة في مواصلات ذلك الزمان، ولهذا تطرقت شريعة حمورابي اليها وعالجت اجـورها ومشاكلها، فالمادة (٢٣٤) تنص على مايلي:- «اذا سد ملاح حزوز سفينة لرجل (اي سد الفراغات الناتجة بعد بناء الهيكل) سعتها ستون كور (اي بحمولة ستة اطنان)، فعليه (اي على صاحب السفينة) أن يعطيه شيقلين من الفضة مكافأة له».

ومن خلال المادة التالية يبدو ان العامل الذي يسد حزوز السفينة يبقى مسؤولاً عن عمله وضامناً لسلامته لمدة سنة كاملة، فاذا حدث اي خلل في عمله من قبل ان تمضي سنة عليه، فعليه ان يصلح الخلل على حسـابه الخاص، واذا ما حدث الخلل بعد مضي سنة عليه، فهو غير مسؤول عن ذلك.

والمادة (٢٣٩) من الشريعة قد حددت اجرة الملاح المستأجر بستة كور (الكور = ١٠٠ كغم) من الحبوب في السنة. والملاح المهمل في عمله يعاقب بنفس نوعية الخسارة التي يسببها اهماله.

القسم الثاني عشر خاص باجور الحيوانات والاجراء

من العادات التي كانت ولاتزال متبعة في استئجار العمال والحيوانات ان تدفع الاجرة لهم في نهاية كل يوم يعمل فيه الاجير، لان الاجراء عمـوماً هم بسطاء الحال ولايستطيعون انتظار الاجر مدة طويلة من الزمن، ولذلك فان شريعة حمورابي قد اكدت على هذه الناحية ايضاً

وراعت ظروف الاجراء من البشر والحيوانات اذا ماتم استئجارهم لمدة سنة كاملة، حيث نصت المادتان التاليتان على مايلي :ـ المادة (٢٤٢) «اذا استأجر رجل ثوراً لمدة سنة، فاجرة الثور في نهاية السنة اربعة كور من الحبوب». المادة (٢٤٣) «وعلى المستأجر ان يدفع لصاحب الثور مقدماً ثلاثة كور من الشعير».

واضافة الى ذلك فقد وضعت الشريعة ضوابط بخصوص الاضرار التي قد تصيب الحيوانات اثناء فترة استئجارها، بحيث أنها الزمت المستأجر ان يعوض اي ضرر يحدثه على الحيوان بالقدر المساوي لذلك الضرر، واعفته من اي التزام كان اذا كان الضرر قد حدث قضاءاً وقدراً.

هذا وان الاضرار التي كانت تحدثها الحيوانات بالناس اثناء استئجارها كانت تعتبر من باب القضاء والقدر، الا في الحالات التي تنبه بها ادارة البلدة صاحب الحيوان بالضرر الذي يمكن ان يحدثه حيوانه، فاذا لم يتخذ صاحب الحيوان اي اجراء بذلك وترك حيوانه على حاله، ففي ايذاء الحيوان للناس يعاقب على ذلك صاحب الحيوان، والمادة (٢٥١) دليل على ذلك :ـ «اذا كان لرجل ثور نطاح واعلمته ادارة بلدته بان ثوره نطاح، ولكنه لم يقص قرنه او لم يراقب ثوره، فاذا نطح الثور ابن رجل وتسبب في موته، فعليه (اي على صاحب الثور) ان يدفع غرامة نصف المنا (= ٢٥٢٫٥ غم) من الفضة».

وفيما يخص اجور العمال المستأجرين فقد حددت الشريعة اجرة الراعي الذي يرعى بنوع واحد من الحيوانات بستة كور من الحبوب في السنة، واذا توجب على الراعي ان يرعى بنوعين من الحيوانات كالبقر والغنم مثلاً فان اجرته يجب ان تكون ثمانية كور من الحبوب في السنة.

ومما لاشك فيه فان الشريعة قد وضعت العقوبات ايضاً بالنسبة

للرعاةالذين يهملون في اداء واجباتهم والزمتهم بدفع التعويض الذي يساوي كمية الضرر الذي نتج عن اهمالهم.

ومن خلال المادة (٢٧٤) من شريعة حمورابي يبدو واضحاً ان الاجرة اليومية للمهرة والصناع كانت خمس حبات (= ٢ر٥غم) من الفضة، ومن بين الصناع الذين ورد ذكرهم في هذه المادة هو البناء. وهذه الحقيقة تؤكد لنا بان البناء الذي يتقاضىٰ خمس حبات من الفضة، فان اجرته هذه هي مقابل عمله لوحده، اما اجرة البناء التي مر ذكرها في المادة (٢٢٨) والتي تنص على ان البناء يتقاضىٰ شيقلين من الفضة عن كل ٣ م[٢]، فهذه الاجرة على مايبدو هي مقابل قيام البناء بتجهيز مواد البناء اضافة الى جهوده المبذولة في البناء.

القسم الثالث عشر خاص بالعبيد

من خلال المعلومات المتوفرة عن العبيد في العراق القديم تأكد لنا ان جميع العبيد كانوا من اسرىٰ الحرب. واما البابليون الذين يستعبدون بسبب عجزهم عن ايفاء مابذمتهم من ديون، فان عبودية هؤلاء لايجوز لها ان تستمر اكثر من ثلاث سنوات مهما كان حجم الدين الذي كان بذمتهم.

والدليل الاخر على ان العبيد هم من اسرىٰ الحروب هي العلامة المسمارية التي كتبت بوساطتها كلمة عبد، حيث انها تتألف من علامتين، الاولى تمثل الرجل اذا كان العبد رجلاً او تمثل الامرأة اذا كانت امة والعلامة الثانية تمثل البلاد الاجنبية وبذلك يكون معنىٰ العبد، رجل من البلاد الاجنبية والامة، امرأة من البلاد الاجنبية.

والعبيد كانوا يشكلون الطبقة الدنيا في المجتمع ولذلك وجب على شريعة حمورابي ان تضع الضوابط الخاصة ببيع وشراء العبيد وتحدد نوعية العلاقة التي يجب ان تقوم مابين السيد وعبده.

وفيما يخص البيع والشراء فان العبد المباع او المشترى لاتعتبر صفقة بيعه او شرائه نافذة المفعول الا بعد مرور شهر واحد على تدوين العقد، فاذا لم يظهر على العبد او الامة اي اثر لمرض خلال هذا الشهر فالصفقة تعتبر نافذة المفعول، ولكن مرضه خلال الشهر الاول من شرائه يعطي الحق للمشتري باعادة العبد الى صاحبه واسترجاع نقوده، كما لايجوز ايضاً ان يباع عبد وهو مطالب بدعوى لان ذلك يجعل صفقة البيع غير قانونية.

هذا ويبدو ان شريعة حمورابي قد حرمت نهائياً بيع وشراء العبيد من البابليين لان عبودية هؤلاء مؤقتة، .ولذلك نصت المادة (٢٨٠) على مايلي :ـ «اذا اشترى رجل عبداً رجلاً او أمة رجل في بلاد اجنبية، ولما عاد الى بلده اكتشف مالك العبد او الامة عبده او أمته، فاذا كان العبد والامة من ابناء البلاد فيطلق سراحهما من دون نقود».

والسبب في هذ التحريم راجع الى ان العبد البابلي ماهو الا رهينة عند سيده ترجع له حريته بعد زوال السبب الذي رماه في العبودية او بعد مرور ثلاث سنوات على عبوديته، فبيعه الى شخص ثانٍ يحرمه من هذه الامكانيات الخاصة باعادة الحرية اليه، ولهذا منعت الشريعة بيع وشراء هذا النوع من العبيد، واذا ماحصل خلاف ذلك فعند اكتشاف المخالفة يطلق سراح العبد او الامة البابلية المباعة من دون مقابل.

وفيما يخص علاقة العبد بسيده فقد كانت لاتختلف عن علاقة مالك بملكه، ولذلك ماكان يجوز للعبد على الاطلاق ان يعصي اوامر سيده او عدم الاعتراف بسيادته. وخير شاهد على ذلك المادة (٢٨٢)، اي

المادة الاخيرة من شريعة حمورابي :- «اذا قال عبد لسيده : «انت لست سيدي» وثبت انه عبده، فعلى سيده ان يقطع اذنه».

ومع هذه السيادة المطلقة لمالك العبد على عبده، الا ان القوانين التي سبقت شريعة حمورابي والعرف الذي كان سائداً عند البابليين قد اكد على عدم جواز معاملة السيد لعبده معاملة غير انسانية، حيث اذا ثبت بان السيد قد اساء الى عبده من دون مبرر مرتين، فضرورة عتقه تصبح حقاً قانونياً للعبد.



فصل السياسة عن الدين

في الحقيقة ان الشريعة التي وحد بها الملك حمورابي للقضاء في كافة ارجـاء امبراطوريته لاتكفي لوحدها للحفاظ على وحدة البلاد، لان امبراطوريته قد ضمت تحت لوائها اقواماً مختلفة وآلهة متعددة. وهذه الحقيقة قد جعلت الملك حمورابي يواجه وضعاً دينياً جديداً يختلف تمام الاختلاف عن الاوضاع الدينية التي كانت سائدة في السلالات التي مر ذكرها، لان كل سلالة من تلك السلالات كانت تضم قومية واحدة وآلهاً واحداً ايضاً.

ان ادراك الملك حمورابي لهذه الحقيقة الجديدة واطلاعه على تجارب الملوك الذين كونوا امبراطوريات من قبله مثل سرجون الاكدي وحفيده

الملك نرام سين قد دفعه ذلك الى تبني مبدأ فصل السياسة عن الدين مع الاحتفاظ بالايمان الشديد واحترام المشاعر الدينية لكافة اقوام الامبراطورية، حيث ان مثل هذا الاجراء لايعطي افضلية لاله على حساب بقية الالهة.

ومقدمة شريعة حمورابي وخاتمتها خير شاهد على ذلك، حيث مجد فيها الملك حمورابي آلهة كافة المدن بنفس المستوى الذي مجد فيه الاله مردوك، الاله الرئيس لمدينة بابل. وفيما يلي نعرض جزءاً من خاتمة شريعة حمورابي لنتأكد من هذه الحقيقة :-

«هذه هي قوانين العدالة التي ثبتها حمورابي، الملك الكفء، والتي بوساطتها مكن البلاد ان تنال القيادة الرشيدة والحكومة الحسنة.

انا حمورابي، الملك الكامل، لم اكن مهملاً او مزعجاً لذوي الرؤوس السود، الذين قدمهم لي الاله اينليل وأودعني مهمة حكمهم الاله مردوك، لقد بحثت لهم عن اماكن امينة، واعنتهم على حل مشاكلهم القاسية، وجعلت النور يشرق عليهم. وبالسلاح الفتاك الذي وهبني اياه الاله زبابا والالهة عشتار، وبالرأي الذي هداني اليه الاله اينكي، وبالقدرة التي منحني اياها الاله مردوك، استأصلت دابر العدو من الشمال الى الجنوب، وانهيت الحرب وأرحت البلاد، وجعلت سكان المدن ينعمون بالصفاء والهناء، ولم ادع احداً يرهبهم، فنادتني الالهة العظام، فأصبحت الراعي المحسن، الذي صولجانه العدالة، ونشرت ظلي الوارف على مدينتي، وفي احضاني حملت شعب بلاد سومر واكد، وقد نعموا بحمايتي، وسايستهم بسلام وحميتهم بحكمتي العميقة.

لكي لايظلم القوي الضعيف، ولكي ترعى العدالة اليتيم والارمل، لقد كتبت كلماتي النفيسة على مسلتي وثبتها امام تمثالي المدعو ملك

العدالة. وفي بابل، المدينة التي رفع رأسها الالهان آنو واينليل عالياً، وفي ايساكيلا المعبد الذي اسسه ثابتة كالسماء والارض، لاقضي البلاد بالعدالة ولاوطد النظام في البلاد ولكي امنح العدالة للمظلوم. انا الملك البارز بين الملوك. ان كلماتي هي المختارة وقدرتي ليس لها مثيل، فبأرادة الاله شمش قاضي السماء والارض العظيم، عسى ان تسود عدالتي البلاد».

من خلال هذا الجزء المقتطف من خاتمة شريعة حمورابي يبدو واضحاً انه لم يفضل الاله مردوك، الهه الرئيس على بقية الالهة في الوقت نفسه بان شريعته هي ليست من وحي الاله مردوك، وانما هي من اقرار الملك حمورابي نفسه. وهذه الحقائق هي التي اكدت بان الملك حمورابي قد فصل في حكمه للبلاد، الذي دام (٤٢) سنة، السياسة عن الدين.

هذا وان ضرورة فصل السياسة عن الدين في حكم الدول الكبيرة قد برزت نتيجة التجارب العملية التي مرت بها شعوب العراق القديم، حيث ان الاعداء والطامعين يلجأون باستمرار الى تحقيق اهدافهم واطماعهم تحت ستار الدين، وذلك من خلال اثارة النعرات الدينية، التي بأمكانها ان تستثير الناس بسهولة فتسبب المشاكل والاضطرابات امام السلطة الحاكمة. وبفصل السياسة عن الدين ينغلق الى حدٍ ما المجال امام الاعداء والطامعين.

ومن الادلة الاكيدة على ان الملك حمورابي قد فصل السياسة عن الدين هو انه لم يدع الالوهية على الاطلاق ولم يلبس في حياته التاج المقرن شارة الالوهية كما ان اسمه لم يدون مسبوقاً بالعلامة الدالة على الالوهية على الرغم من ان مقدمة الشريعة قد وصفته بأنه اله الملوك، ولكن المعطيات التاريخية قد اكدت انه لم يدع الالوهية على الاطلاق.

وفي هذه النـاحيـة قلد الملك سرجـون الاكدي مؤسس الامبراطورية الاكـدية، لان الملك سرجون لم يؤله نفسه اثناء حياته ولكنه تأله بعد مماته، بينما حفيده الملك نرام سين قد أله نفسه اثناء حياته. هذا وان تأثر الملك حمورابي بالملك سرجون الاكدي دون تأثره بحفيده الملك نرام سين ربما يرجع سببه الى ان تأليه الملك نرام سين لنفسه قد جلب له بعض المتاعب ولذلك تجنب الملك حمورابي هذه المتاعب بعدم اقدامه على تأليه نفسه.

هذا وان وصف الملك حمورابي بالة الملوك في مقدمة الشريعة لايعني ذلك انه قد تأله فعلاً وانما كانت الجملة مجازاً وغرضها الرئيس أبراز عظمة الملك حمورابي وافضليته على بقية الملوك.

جولاته التفتيشية

مما لاشك فيه ان القوانين والانظمة والتعليمات التي تصدرها الدولة لايضمن سلامة تطبيقها من قبل حكام الولايات مالم تكن هناك رقابة واعية مع جولات تفتيشية للملك يتفقد فيها احوال الناس والحكام في ولايـات الامبراطورية المختلفة، لان حكام الولايات كانوا عبارة عن موظفـين يعينهم الملك لادارة شؤون تلك الـولايـات، ولذلك كانوا خاضعين للتفتيش من فترة الى اخرى.

والحقيقة التي يجب ان تقال في هذا الخصوص هو اننا لانملك وثائق كثيرة عن تفتيش الملك حمورابي لولاياته، سوى وثيقة واحدة بخصوص الغابات ومفادها ان معلومات قد وصلت الى قصر الملك حمورابي ان اشجار الغابات قد قطعت وسرقت جذوعها. وفي الرسالة التي بعث بها



لوحة حجرية تصور حمورابي

الملك حمورابي الى مسؤولي الغابات قد جاء فيها مايلي

«لاتهملوا غاباتكم، يجب ان تحرسوها جيداً وغداً في جولتي التفتيشية سوف لن يبقىٰ على قيد الحياة من هو مسؤول عن قطع الاشجار».

من رسالة الملك حمورابي هذه يبدو واضحاً انه لم يتردد ابداً عن زيارة اية ولاية كانت لمجرد ان قطع بعض الخارجين عن القانون عدداً من اشجار غابتها، فماذا يفعل الملك لوعلم بوجود بداية مؤامرة او بتعسف حاكم من حكام الولايات فبالتأكيد كان لايتردد عن الذهاب الى تلك الولاية والتفتيش بنفسه عن الاسباب التي تكمن وراء السلوكيات الخاطئة التي تحدث في الولاية.

وفضلاً عن ذلك فان زيارة الملك لسكان وحكام الولايات المختلفة كانت توطد العلاقة والمحبة فيما بين الملك وبين حكام وسكان الولايات، لأنها تشعرهم حقاً وحقيقة بأنهم جزء غير مهمل من بين اجزاء الامبراطورية.

وعلى مايبدو ان جولات الملك التفتيشية للولايات ماهي الا تقليد اوجده الملك حمورابي، لان اخبار الامبراطورية الاكدية لم تبين لنا شيئاً من هذا القبيل، ولكننا مع ذلك لانستطيع ان نؤكد بان ملوك الدولة الاكدية ما كانوا يفتشون احوال ولاياتهم، ولكننا نستطيع ان نؤكد بان الملك حمورابي قد جعل من تفتيش الولايات تقليداً من تقاليد امبراطوريته، لان سلوكيات الملك حمورابي في ادارة شؤون امبراطوريته تؤكد انه قد قام بدراسة احوال الامبراطورية الاكدية دراسة مفصلة وشخص فيها نقاط الضعف فحاول تلافيها، فالملك سرجون على سبيل المثال لم يسن شريعة خاصة بامبراطوريته، ولذلك قام الملك حمورابي بسن شريعة مباشرة بعد تكوينه لامبراطوريته، وكذلك الحال

مع الجولات التفتيشية ، لانه قد ادرك بان قلة الجولات التفتيشية من قبل الملوك لسكان وحكام الولايات ينعكس سلبياً عليهم ويجعلهم في وضع يسهل فيه استثارتهم ضد السلطة المركزية .

وفي ختام هذا الموضوع قد يسأل البعض ويقول ماعلاقة الملك حمورابي باشجار الغابات؟ للجواب على ذلك نقول بان المعلومات المتوفرة تؤكد بان الغابات عموماً كانت تعتبر من ممتلكات الدولة الخاصة ، ولذلك حرص الملك حمورابي على حمايتها وصيانتها من ايدي العابثين والمتجاوزين ، فعين لهذا الغرض موظفين وحراساً مسؤولين على حراستها وسلامة اشجارها . واذا ماحدث للغابات مايسيء الى اشجارها فلا يتأخر الملك بالقيام بجولة تفتيشية ليحاسب المقصر ويشعر الذين في نفوسهم مرض بان الدولة جادة في هذا الموضوع وذلك بسببين الاول هو ان الاخشاب المسروقة قد تستخدم في صناعة الاسلحة ، وهذا مايوحي على وجود مؤامرة تدبر للسلطة المركزية والثاني هو ان الاخشاب عموماً قليلة في بلاد وادي الرافدين ولذلك وجب حماية مصادرها .

اهتمامه بتموين الجيش

لايستطيع اي قائد او ملك ان يحقق انتصارات متميزة مالم يضمن أولاً لجيشه الغذاء او اللباس والسلاح والتجارة ، ولذلك لم يبدأ الملك حمورابي بجد في اقامة الدولة الموحدة مالم يسيطر على المدن التي تفصل مابين بابل وسواحل الخليج العربي ، لان ذلك يضمن له وصول التجارة الخليجية والتي كان يحصل عن طريقها على مادة النحاس الضرورية

جداً لصناعة الاسلحة. وفضلاً عن ذلك فقد سبق وان ذكرنا بان الملك حمورابي قد اعتبر الغابات من ممتلكات الدولة الخاصة، لان اخشابها ضرورية ايضاً لصناعة الاسلحة.

ومادمنا قد ذكرنا ان الجيوش لاتحقق الانتصارات المطلوبة بالسلاح فقط مالم يتوفر لها الغذاء واللباس والعلاج كذلك للمصابين من الجنود، فقد اهتم الملك حمورابي بكل مايوفر ذلك للجيش، والمعلومات المتوفرة عن انجازاته قد اكدت انه قد سيطرعلى كافة الانهار والقنوات وجعل مهنة صيد السمك من واجبات الدولة، ولهذا السبب بالذات وجدنا ان جيش حمورابي كان يتألف من الجنود وصيادي السمك، لان هذه المهنة كانت توفر مصدراً غذائياً مهماً للجيش ولكافة افراده. والاسماك كما نعلم مادة قابلة للتلف السريع وخاصة في ظروف مناخ القسم الجنوبي من العراق، لذلك كانت الدولة تبيع الفائض عن حاجتها الى التجار مقابل الفضة، لان الفضة هي المادة المطلوبة في التجارة الخارجية، وبذلك كان الملك حمورابي يضمن لنفسه ولجيشه من مهنة صيد السمك الغذاء والفضة الضرورية للتجارة الخارجية.

هذا ومما تجدر الاشارة اليه بهذا الخصوص هو ان سيطرة الدولة على الانهار والقنوات لم تمنع اطلاقاً ابناء الشعب من صيد السمك وسد حاجتهم من هذه المادة الغذائية، ولكن الدولة كانت لها الحصة الكبرى من خلال المجندين من قبلها لهذه المهمة.

ومن المواد الاخرى الضرورية التي سيطرت عليها الدولة في زمن الملك حمورابي هي التجارة في مادة الصوف، لان هذه المادة كما نعلم اساسية في صناعة الملابس وبالاخص الملابس الشتوية، ولذلك فان النصوص المسمارية ذات العلاقة قد بينت لنا ان القصر كان يمتلك قطعاناً كبيرة من الاغنام والماعز والابقار وقد عين الرعاة لرعيها

والموظفين المسؤولين عن حساب كمياتها وكميات الصوف التي يحصل عليها من خلال عملية جز الصوف للخراف.

وهذه القطعان ولاشك لاتوفر الصوف فقط بل كان القصر يستفيد منها في تقديم الضحايا بالمناسبات الدنيوية المهمة والمناسبات الدينية، ولهذا السبب بالذات فان النصوص المسمارية قد قدمت الادلة الكافية على ان تجارة الملابس وبالاخص الصوفية منها كانت تخضع لرقابة الدولة.

والحقيقة التي يجب ان تقال بهذا الخصوص، ان هذه الاجراءات التي قام بها حمورابي هي التي مكنته من تحقيق الانتصارات الكبيرة وتكوين الدولة الموحدة، حيث لو كانت هذه المواد الاساسية للجيش لاتخضع لسيطرة الدولة، لحدث الارباك في توفيرها عند الحاجة ولما تمكن الملك حمورابي من انجاز ماحققه.

والمعلومات المتوفرة تؤكد بان الجراحين كانوا كذلك تحت امرة الدولة، لان الحاجة اليهم اثناء الحروب التي شنها الملك حمورابي كانت كبيرة جداً، ولذلك وجدنا ان شريعة حمورابي لم تتطرق في موادها الا عن الجراحين والاطباء البيطريين الضروريين ايضاً لمعالجة قطعان الدولة وبالاخص الابقار والحمير.

هذا وان النصوص المسمارية المختلفة ورسائل الملك حمورابي نفسه قد بينت لنا ان الملك حمورابي لم يهتم بتموين الجيش فقط بل كان كذلك يتحاشى مايعرض الاقتصاد والحياة الطبيعية الى الارباك في مدن امبراطوريته، حيث ان المعلومات قد اكدت على انه قد اعفى عدداً كبيراً من الخبازين والطحانين من الخدمة العسكرية ليكون بأمكان هؤلاء توفير الخبز والطحين الكافي لغذاء الناس. وقد تأكدت لنا هذه الحقيقة من خلال الشكوى التي قدمها كبير خبازي مدينة «يموتبال» الى الملك

حمورابي، نتيجة دعوته اربعة من زملائه الخبازين للخدمة العسكرية، وقد استدعى حمورابي كبير الخبازين هذا ليفهم منه الموضوع على حقيقته وبعد ذلك اصدر حمورابي اوامره باعفاء كبير الخبازين من الخدمة العسكرية. والشيء نفسه كان يحصل مع الرعاة ومع اصحاب المهن الاخرى، حيث كان المسؤولون عن التعبئة العسكرية لايدركون تماماً مدى الضرر الذي يصيب الحياة اليومية عندما يدعى كافة المهرة والصناع للخدمة العسكرية، او انهم كانوا يخافون من اتهامهم بمحاباة اصحاب المهن.

اهتمامه بالمعابد والطقوس الدينية

ان عظمة الملك حمورابي لاتبرز فقط من كثرة انجازاته العسكرية وتحقيقه الدولة الموحدة، بل تبرز ايضاً من خلال اجراءاته التي اتخذها داخل المدن اثناء ما كانت جيوشه تحقق الانتصار بعد الانتصار، حيث انه وفر باجراءاته الحياة الاعتيادية لسكان امبراطوريته من غير المقاتلين، واضافة الى ذلك فقد شمل حمورابي المعابد جميعها برعايته وقدم لها المساعدات الضرورية اثناء فترات الحروب، لان المعابد عادة تفتقر الى القرابين اثناء فترة الحرب. ولم يكتف الملك حمورابي بتمويل المعابد بالقرابين والضحايا، بل امر ببنائها وبتجديد مايحتاج منها الى تجديد، وكتاباته البنائية خير شاهد على ذلك وفيما يلي ترجمة احدى هذه الكتابات البنائية :ـ

«من اجل الاله شمش، سيد السماء والارض، الذي هو مليك

حمورابي، قام حمورابي المختار من قبل الاله آنو، المطيع للاله اينليل وحبيب الالـه شمش، الـراعي، الذي ادخل السرور الى قلب الاله مردوك، الملك القـوي، ملك بابـل، ملك بلاد سومـر واكد، ملك جهات العالم الاربع، الملك الذي جدد العتبات المقدسة للالهة، عندما سلمه الاله شمش سيادة بلاد سومر واكد ومنحه ادوات القياس، قام في مدينة لارسا، مدينة حكمه، ببناء معبد «ايببار»، معبده المحبوب».
واضـافة الى هذا النص فقد عثر لحمورابي على نصوص بنائية اخرى تتحـدث عن بنـائـه او تجديده للمعابد في مدينة سپار وبابل وكيش وغيرها من المدن الاخرى.

وفضلاً عما تقدم فقد حاول الملك حمورابي ان لاتكون الحروب التي شنها مؤثرة على طقوسها الدينية وبالاخص طقوس عيد رأس السنة. وقد تأكدت لنا هذه الحقيقة من خلال رسالة بعثها الى «سين ادينام» احد موظفيه الكبار في مدينة لارسا يأمره فيها بارسال تماثيل الالهة الخاصة بمدينة لارسا الى مدينة بابل من اجل احياء احتفالات اعياد رأس السنة البابلية، وطلب منه ان ترسل التماثيل بوساطة السفن.

وهذه العناية الفائقة التي اولاها الملك حمورابي للمعابد قد ساعدته على ان يفرض سيطرته عليها وجعلها تعمل اضافة الى واجباته الدينية على دعم الملك حمورابي ومساندته في كافة مشاريعه.

ومع هذه السيطرة التي فرضها حمورابي على المعابد، الا ان كتاباته قد بينت لنا مدى اهتمامه واحترامه للاله شمش، . اله العدالة. وان هذا الاهتـمام دفع الملك حمورابي لان يجعل من مدينة سپار، مدينة هذا الاله، مدينته المقدسة، ولذلك يعتقد بعض المؤرخين ان الاله شمش كان الاله الشخصي للملك حمورابي، حيث انه وضع صورة هذا الاله في اعلى مسلته ومجده في كتاباته اكثر من تمجيده للاله مردوك، الاله

الـرئيس لمدينـة بابل. وقد تأكدت لنا هذه الحقيقة من خلال اللوحة البنـائية التي امر الملك حمورابي بتدوينها بعد انهائه بناء سور مدينة سپار، حيث جاء فيها مايلي :ـ

«عنـدما نظر الاله شمش، السيد العظيم للسماء والارض، ملك الالهـة، اليّ انـا حمورابي، الأمير، الراعي، برضى بمحياه البراق، منحني ملوكيـة دائمـة وحكـومـة طويلة الامد واعطاني اسس البلاد لاحكمها. وامرني بكلمته الطاهرة، التي لاتتغير، والذي ترك سكان سپار وبابل يسكنون بهدوء، وعهد اليّ بتجديد بناء سور مدينة سپار وتعليته.

في ذلك الوقت انا حمورابي، الملك القوي، ملك بابل، مطيع الاله شمش وحبيب الالهة آيا (زوجة الاله شمش)، الذي افرح قلب الاله مردوك، صاحب القوة العظيمة التي منحني اياها الاله شمش. وبناءً على طلب قوات بلادي، بنيت سور مدينة سپار بحيث صار كالجبل، الذي لم يبن مثله ملك من الملوك منذ القديم. اسم هذا السور هو: «بامر من الاله شمش ان لايكون لحمورابي اثناء حكمه المجيد خصم، ذلـك الحكم الـذي حققه له الاله شمش، لقد حررت قوات مدينة سپار، المدينة الابدية للاله شمش، من اعمال السخرة، ومن اجل الاله شمش حفـرت لهم قنـاتهم التي تمنحهم باستمرار الماء وحققت لهم الثروة والوفرة ووفرت لسكان سپار الفرح.

من اجـــل حيـاتي قد صلوا، لاني قد عملت كل مايعجب الالـه شمش، سيـدي، ويعجب الالهة ايا، سيدتي، واسمي الجيد اخذوا يذكرونه يومياً كما لو هو اسم اله، بحيث لاينسونه الى الابد، وجعلت السنة الناس تلهج به على الدوام».



المجتمع في عهد الملك حمورابي

من خلال دراسة شريعة حمورابي يبدو واضحاً ان المجتمع البابلي كان مقسماً الى ثلاث فئات، الاولى فئة «الاويلوم» والثانية هي «الموشكينوم» والثالثة هي «الوردوم»، وهذه الفئات الثلاث دعت اكثر المؤرخين الى الاعتقاد بان المجتمع البابلي زمن الملك حمورابي كان مجتمعاً طبقياً ويتألف من ثلاث طبقات، ولذلك ترجمت كلمة اويلوم بالرجل الحر وكلمة موشكينوم بالرجل نصف الحر وكلمة وردوم بالعبد، وبناءً على ذلك ساد الاعتقاد ان المجتمع البابلي كان يتألف من ثلاث طبقات غير متساوية من حيث الواجبات والحقوق وهي طبقة الاحرار وطبقة انصاف الاحرار وطبقة العبيد.

ان هذا الاعتقاد بخصوص طبقية المجتمع البابلي يثير الاستغراب كثيراً لان المعلومات المتوفرة عن اقوام الجزيرة تؤكد ان هذه الاقوام لم تعرف الطبقية في حياتها على الاطلاق فالاكديون والاشوريون والكلدانيون لم يكونوا طبقيين ولم تحتو كتاباتهم على اي شيء من هذا القبيل، فمن اين اذن جاءت هذه الطبقات الاجتماعية الثلاث لدى الاموريين وهم من سكان بوادي بلاد الشام. ولهذا فقد حاول عدد من الباحثين اعادة النظر في ترجمة كلمة موشكينوم، وتبين لهم نتيجة الدراسة التي قاموا بها انها تعني «مولى» وليس رجل نصف حر، وهذا المعنى الجديد لكلمة موشكينوم تتناسب كثيراً وطبيعة الاموريين.

وبناءً على هذه الحقيقة يمكننا الآن القول بان الاموريين ضمن المجتمع البابلي كانوا سواسية امام القانون ولافرق بين اموري واخر. وفيما يخص العبيد فقد سبق وان ذكرنا ان اغلبية العبيد هم من اسرى الحرب، اي انهم ليسوا من افراد المجتمع البابلي. اما الموالي فهم من غير الاموريين الذين يعيشون تحت ظل سيادة الدولة التي اقامها الملك حمورابي، والمعلومات المتوفرة عنهم تؤكد ان موالي منطقة بابل معظمهم من العبيد الذين يتم عتقهم، ولهذا السبب فان السيد الذي يعتق عبده ولايريد له في الوقت نفسه ان يتحول الى موالى يقوم بتبنيه، وبعملية التبني هذه يصبح رجلاً حراً وواحداً من البابليين، ولذلك كان اسمى انواع عتق العبيد في المجتمع البابلي، هو النوع الذي يعتق فيه السيد عبده ويتبناه في نفس الوقت، لان عملية التبني كانت بمثابة منحه الجنسية البابلية. ومما يؤكد ايضاً ان كلمة موشكينوم تعني «المولى» وليس رجلاً نصف حر، هو انها لم تظهر ضمن النصوص المسمارية، الا بعد ان دخل الاموريون الى العراق وكونوا فيه سلالات مختلفة، واول ظهور لهذه الكلمة كان في شريعة ايشنونا وفي المادتين (١٢) و (١٣)

وفيما يلي ترجمة المادة (١٢) :-

«اذا قبض على رجل في حقل مولىٰ نهاراً وداخل السياج، فعليه ان يدفع غرامة قدرها عشرة شيقلات من الفضة، ومن يقبض عليه ليلاً داخل السياج فأنه يموت ولن يترك حياً».

والناحية الاخرىٰ التي تؤكد ان كلمة موشكينوم كانت تعني مولىٰ فعلاً وليس رجلاً نصف حر هو انها قد اختفت من بعد موت الملك حمورابي بسنوات معدودات، لان التطور الذي اصاب الاموريين وكثرة الاقوام غير الامورية التي خضعت لسلطات سلالة بابل الاولى قد ادىٰ الى نبذ فكرة الموالي، ولذلك لم نجد اي قانو ن او مادة قانونية دونت بعد قانون حمورابي وهي تتحدث عن الموشكينوم، حيث اختفت هذه الطبقة من سجل العراقيين القدامىٰ بعد زمن الملك حمورابي، ومما يؤيد ذلك ان القوانين الاشورية لم تستخدم هذه الكلمة على الاطلاق. وهذه الحقيقة هي التي تزيد التأكيد على ان الموشكينوم هم الموالي فعلاً وليسوا طبقة انصاف الاحرار في المجتمع البابلي، لان الطبقة الاجتماعية لاتزول من المجتمع بهذه السرعة ومن دون سبب، ولكن التقليد القبلي لايستطيع الاستمرار مع قيام دولة كبيرة وعظيمة كالدولة التي استطاع حمورابي تأسيسها.

وفي ختام هذا الموضوع قد يقول البعض ان ترجمة كلمة موشكينوم بمعنىٰ مولى وليس رجلاً نصف حر لايغير من معنىٰ الكلمة كثيراً، لان الموشكينوم، اي الموالي هم ايضاً ليسوا بمستوىٰ الاويلوم، اي ليسوا بمستوىٰ البابليين وشريعة حمورابي خير شاهد على ذلك. وفي جوابنا على هذا التساؤل نقول ان ترجمة كلمة موشكينوم برجل نصف حر، تجعل هذه الترجمة المجتمع البابلي طبقياً اي انه يفرق بين بابلي واخر، ولكن عندما نترجمها بمعنىٰ مولى، تجعل هذه الترجمة الجديدة

المجتمع البابلي ليس طبقياً، لان الموالي اصلاً ليسوا من البابليين وهذا يعني ان البابليين جميعاً كانوا سواسية امام القانون وهنا يكمن الفرق الكبير بين الترجمتين.

خلفاء الملك حمورابي

٧ ـ الملك سمسوايلونا

خلف حمورابي في الحكم ابنه المدعو سموايلونا ١٧٤٩ ـ ١٧١٢ ق.م، وقد واجه هذا الملك كغيره من الملوك الذين يتسلمون العرش من بعد ملوك عظام حركات تمرد واسعة. والسبب الذي جعل مثل هؤلاء الملوك يواجهون مثل هذه الحركات يرجع الى ايمان العراقيين القدامى بان موهبة القيادة ماهي الا نشاط منفصل عن الانسان، واذا ماحل هذا النشاط في رجل مايتحول ذلك الرجل بالضرورة الى بطل قائد. وفضلاً عن ذلك فقد آمنوا بان موطن هذا النشاط هو السماء، ومما يؤكد ذلك هي الجداول المسمارية الخاصة بتسلسل السلالات والملوك عبر تاريخ العراق القديم والمعروفة باسم جداول اثبات الملوك، حيث اشارت هذه الجداول الى ان الملوكية قد هبطت من السماء من بعد زوال الطوفان من على الارض وحلت في مدينة كيش.

ان هذا الاعتقاد جعل سكان وادي الرافدين يؤمنون بان موهبة القيادة لاتوجد عند كل الناس، بل عند افراد محدودي العدد، ولذلك كانت المقاطعات او الدويلات التي تنوي الانفصال كانت لاتبدأ ثورتها او عصيانها الا عند انتقال السلطة من ملك الى اخر عن طريق الوراثة، لأنهم يأملون من وراء هذا التوقيت عدم امتلاك الملك الجديد لموهبة

القيادة، مضافاً الى ذلك انه جديد على الحكم ولم يكتسب الخبرة والتجربة الكافية في هذا المجال. فاذا كان الملك الجديد لايمتلك موهبة القيادة فعلاً، ففي اغلب الاحيان يتمكن الثائرون من تحقيق اهدافهم، واذا كان مالكاً لموهبة القيادة ففي الغالب يكون الفشل الاكيد حصة للثائرين ولدويلاتهم.
ومادام الملك سمسوايلونا قد تسلم الحكم عن طريق الوراثة فقد واجه هذا الملك محاولات الانفصال من قبل الاقوام الطامحة بخيرات بلاد وادي الرافدين وبالاخص من قبل بلاد عيلام، حيث ان ثورتها قد كلفت الملك سمسوايلونا سنتين من القتال، ولكنه اثبت فيها انه قائد موهوب بحق.

وبعد ذلك استطاع شخص يدعى «ايلوما ايلو» ان يثور ويستقل في المناطق الجنوبية من البلاد ويقيم سلالة عرفت باسم سلالة القطر البحري لمجاورتها لمناطق الخليج والاهوار الجنوبية، وسميت هذه السلالة من قبل جداول اثبات الملوك باسم سلالة بابل الثانية ١٧٤٠ - ١٥٠٠ ق.م، وخصصت لها تلك الجداول احد عشر ملكاً. وهذا مادفع الملك سمسوايلونا لان يشن سلسلة من الحروب على هذه السلالة دمر خلالها مدناً جنوبية مهمة وفي مقدمتها مدينة اور، ولكن صعوبة القتال في مناطق الاهوار لم يمكّن الملك سموايلونا من القضاء نهائياً على هذه السلالة، ولذلك ظلت منفصلة عن سلالة بابل الاولى الى بداية حكم الكاشيين.

واضافة الى ماتقدم فان قيام سلالة القطر البحري قد شجعت عدداً من الملوك الاشوريين للثورة ضد الملك سمسوايلونا، وأحد هؤلاء الملوك المدعو «اداسي» قد وصف بأنه قد خلص بلاد اشور من العبودية.

ومن الاخطار الداخلية التي واجهت الملك سمسوايلونا، هي محاولة الكاشيين الثورة ضده. والكاشيون كما هو معروف جماعات وفدت الى العراق من ايران سالكة الطريق المحاذي لنهر ديالى، ومجيئها لم يكن على هيئة حملة عسكرية، بل جماعات طالبة للعمل في العراق، وكان عدد هذه الجماعات ضئيلاً في العراق من قبل ان يقيم الملك حمورابي امبراطوريته، لان سلالة ايشنونا الواقعة على نهر ديالى كانت تمنع هذه الجماعات من الدخول بيسر وسهولة، ولكن قضاء الملك حمورابي على سلالة ايشنونا قد سهل الأمر عليهم في الدخول الى العراق، لأن سكان منطقة ايشنونا لم يعد يهمهم كثيراً موضوع دخولهم الى العراق، ولذلك اصبح عددهم كبيراً في زمن الملك سمسوايلونا، ولذلك ثاروا ضده، ولكن قوة هذا الملك قد خيبت آمالهم، حيث ان تاريخ السنة التاسعة من حكمه قد اشارت الى استطاعة الملك سمسوايلونا من صد هجوم للكاشيين.

ومع ان مملكة بابل قد سلمت من الاخطار الداخلية زمن هذا الملك، الا انها قد تقلصت في رقعتها، و ذلك بسبب انفصال بلاد اشور والاجزاء الجنوبية من العراق، التي قامت فيها سلالة القطر البحري.

٨ ـ الملك ابي ايشوخ

خلف سمسوايلونا في حكم بابل الاولى الملك ابي ايشوخ ١٧١١ ـ ١٦٨٤ ق.م، وواجه هذا الملك في بداية حكمه هجوماً من الكاشيين ايضاً، حيث ان فشل هجومهم الاول على الملك سمسوايلونا قد دفعهم الى سكنى منطقة اعالي الفرات وكونوا لهم في منطقة خانة (عنة) كياناً سياسياً صغيراً، وما أن جاء الملك ابي ايشوخ الى الحكم حتى ثاروا عليه من جديد وشنوا حملة عسكرية على مدينة بابل، ولكن قوة هذا الملك وحنكته العسكرية قد افشلت حملتهم العسكرية واضطروا ثانية الى الرجوع الى منطقة اعالي الفرات، ومع هذا الفشل الذي واجهه الكاشيون في حملتهم، الا ان عدداً منهم تمكن من التوغل الى منطقة بابل والعمل هناك على هيئة عمال وزراع.

وبعد فشل الكاشيين في حملتهم العسكرية، حاول الملك ابي ايشوخ استرجاع القسم الجنوبي من العراق واحتلال سلالة القطر البحري، وقد مهد لهذا الهدف بعقد معاهدة سلام مع الكاشيين المقيمين في اعالي الفرات، ولكن صعوبة تحرك القوات العسكرية في منطقة الاهوار قد منعت الملك ابي ايشوخ من تحقيق هدفه.

هذا وان الملك ابي ايشوخ لم ينصرف كلياً لمحاربة الكاشيين واسترجاع مناطق القسم الجنوبي من العراق، بل وجه اهتمامه ايضاً نحو اعمار البلاد، حيث قام ببناء وتجديد عدد من المعابد وعمل على تمويلها باللوازم الضرورية لطقوسها الدينية وفي مقدمتها القرابين. وفضلاً عن ذلك فقد اهتم في شؤون الري فقام بشق عدد من القنوات التي ساعدت على زيادة الانتاج الزراعي والحيواني.

٩ ـ الملك امّيديتانا

خلف الملك ابي ايشوخ في الحكم الملك امّيديتانا ١٦٨٣ ـ ١٦٤٧ ق.م، وقد عاشت سلالة بابل الاولى في زمنه فترة هدوء خالية من الثورات والحروب، ولذلك وجه الملك امّيديتانا اهتمامه نحو اعمال الري والبناء، فشق قناة سميت بأسمه واهتم بتشييد الحصون والاسوار والقرى، كما قام ببناء عدد من القصور في ضواحي مدينة بابل.

وعلى الرغم من ان فترة حكم الملك قد اتسمت بالهدوء فقد اخبرنا اميّديتانا بأنه قد حارب جيشاً لسلالة القطر البحري وتمكن من الانتصار عليه واستعاد مدينتي نُفّر وايسن لسلطان سلالة بابل الاولىٰ.

١٠ ـ امّي صادوقا

خلف الملك اميّديتانا في الحكم ابنه المدعو امّي صادوقا ١٦٤٦ ـ ١٦٢٦ ق.م، وقد عمل هذا الملك منذ السنة الاولى من حكمه على تخفيف الديون والضرائب على الناس، حيث اصدر مرسوماً اعفىٰ بموجبه ديون الناس الخاصة بقروض الفضة والشعير، كما اعفىٰ سكان منطقة سوخوم الواقعة مابين مدينتي الرمادي وعنه من الضرائب، كما منع كبار موظفي الدولة من اصدار عقوبة الموت على الافراد، وقلل ايضاً نسبة الضرائب التي يدفعها العسكريون على الاراضي التي اقطعتهم إياها الدولة.

وفضلاً عن ذلك فان المعلومات المتوفرة تؤكد ان علم الفلك قد وصل في زمنه مرتبة راقية جداً، حيث يحتوي المتحف البريطاني على نص فلكي من زمن الملك امّي صادوقا، فيه معلومات عن ظهور

واختفـاء كوكب الزهرة بشكل خاص وبظهور واختفاء كل الكواكب التي يمكن مشاهدتها من الارض، وفيما يلي ترجمة احدى فقرات هذا النص: ـ «اذا اختفىٰ كوكب الزهرة في الشرق في اليوم الحادي عشر من الشهر الثاني، وبقي بعيداً عن السماء لمدة شهرين وسبعة ايام، وبعد ذلك ظهر الكوكب في الغرب في اليوم التاسع عشر من الشهر العاشر، . فان الحصاد سوف يكون جيداً من الناحية الاقتصادية».

وفضلاً عن ذلك فان معلومات هذا النص الفلكي قد وضحت لنا بان ظهور واختفاء كوكب الزهرة لايحدث بصورة منتظمة خلال العام الواحد، بل ينتظم الظهور والاختفاء من حيث المكان في السماء بين كل ٥٦ سنة.

والمعلومات الاخرى المتوفرة عن هذا الملك لاتشير الى قيامه بحرب او افشالـه لثورة او تمـرد بل توحي الى سوء تصرف المسؤولين عن الضرائب، وسـوء التصرف هذا لم يبرز في زمنـه، بل ورثـه عن ابيه اميّـديتـانـا، ولذلك اصدر في السنة الاولى من حكمه مرسوماً اعفىٰ بموجبه الديون والضرائب.

اا ـ سمسو ديتانا

وهو اخر ملك من ملوك سلالة بابل الاولى وحكم للفترة ١٦٢٥ ـ ١٥٩٤ ق.م ومن اعمـاله التي ذكرتها لنا النصوص المسمارية هو قيامه بتـأسيس المـدن والحصـون وتجـديد وبناء المعابد المختلفة وتزويدها بالقـرابين الضرورية لطقوسها الدينية، كما اهتم ايضا بشؤون الري واصلاح نظام ادارة الدولة.

وفي اواخـر حكم هذا الملك قام الملك الحثي مورشيـلّي ١٦٢٠ ـ ١٥٥٠ ق.م باحتـلال مدينة حلب عاصمة مملكة يمخد الامورية في شمال سوريا ثم كركميش، واتجه من بعد ذلك جنوباً على طوال نهر الفرات الى مدينة بابل وتمكن من احتلالها من دون عناء.

والشيء الغريب في هذا الموضوع هو اننا لانملك اية تفاصيل عن كيفية احتلال الملك الحثي مورشيلّي لمدينة بابل، ولكن الواقع التاريخي لتلك الفترة يوحي بمساعدة الكاشيين للملك الحثي في احتلاله لمدينة بابـل، بدليـل ان الحثيـين قد غادروا مدينة بابل بعد فترة قصيرة من احتلالهم لها، بعد ان اخذوا معهم تمثالي الاله مردوك وزوجته الالهة صربـانيتـوم، ولكنهم تركوهما في مدينة عنه ورجعوا الى بلادهم اسيا الصغرى بعد ان تركوا البلاد للكاشيين فأحتلوها بسهولة وكونوا الدولة الكاشية ١٥٩٤ ـ ١١٥٥ ق.م.

المصادر

١ ـ الاستاذ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار البيان ـ بغداد، دار الثقافة ـ بيروت، ١٩٧٣ .

٢ ـ الدكتور فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (١٨٨)، وانظر كذلك سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، القوانين في العراق القديم ـ بغداد ١٩٨٨ .

٣ ـ مجلة افاق عربية، السنة العاشرة، تشرين الاول ١٩٨٤، العدد الثاني، علم الفلك وقياس الاوقات في العراق القديم .

٤ ـ حمورابي، ملك بابل وعصره، تأليف هورست كلنكل، ترجمة الدكتور غازي شريف، مراجعة الدكتور علي يحيىٰ منصور، ١٩٨٧ .

٥ ـ الدكتور فوزي رشيد، الموسوعة الذهبية ـ ١ ـ، سرجون الاكدي، اول امبراطور في العالم، ١٩٩٠

6 - D. O. EDZARD, DIE ZWEITE ZWISCHENZEIT BABYLONIENS, WIESBADEN, 1957.

7 - FSCHER WELTGESCHICHTE, DIE ALTORIENTALISCHEN REICHE BAND 2 1965.

8 - ILMARI KARKI, DIE SUMERISCHEN UND AKKA DISCHEN KONIGSINSCHRIFTEN DER ALTBABYLON ISCHEN ZEIT HELSINKI 1983.

9 - horst klengel, HAMMURAPI VON BABYLON UND SEINE ZEIT, BERLIN, 1977.

10 - W. VON SODEN, ZEITSCHRIFT F'IR ASSYRioLOGIE 56, P. 133 FF.

صدر عن الموسوعة الذهبية

١ ـ سرجون الاكدي

٢ ـ نرام سين

٣ ـ ابي سين

٤ ـ نبوخذ نصر

سيصدر عن الموسوعة الذهبية

كوديا

صاحب اقدم حلم في التاريخ

سيصدر قريبا عن الموسوعة الذهبية

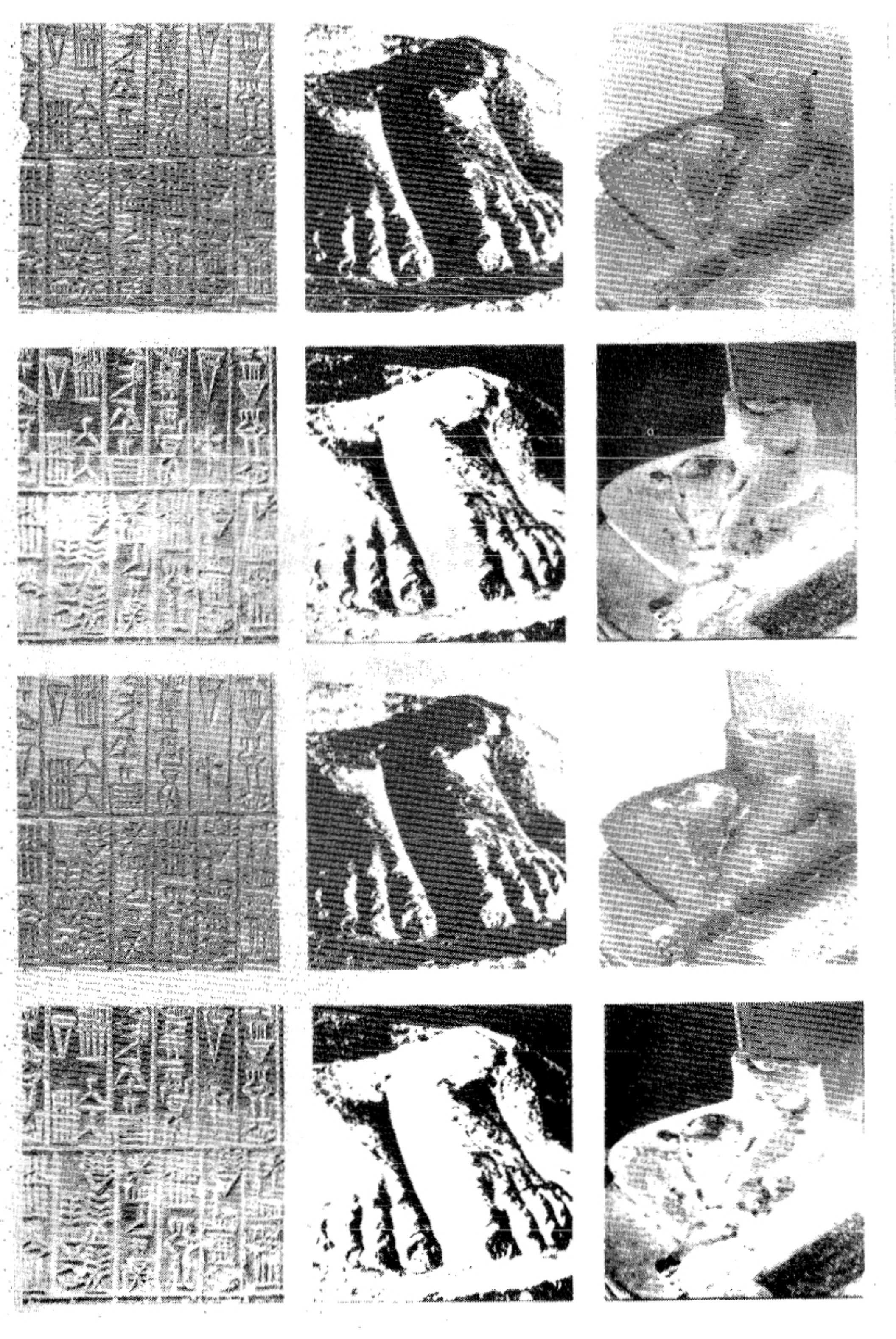
اورو كاجينا

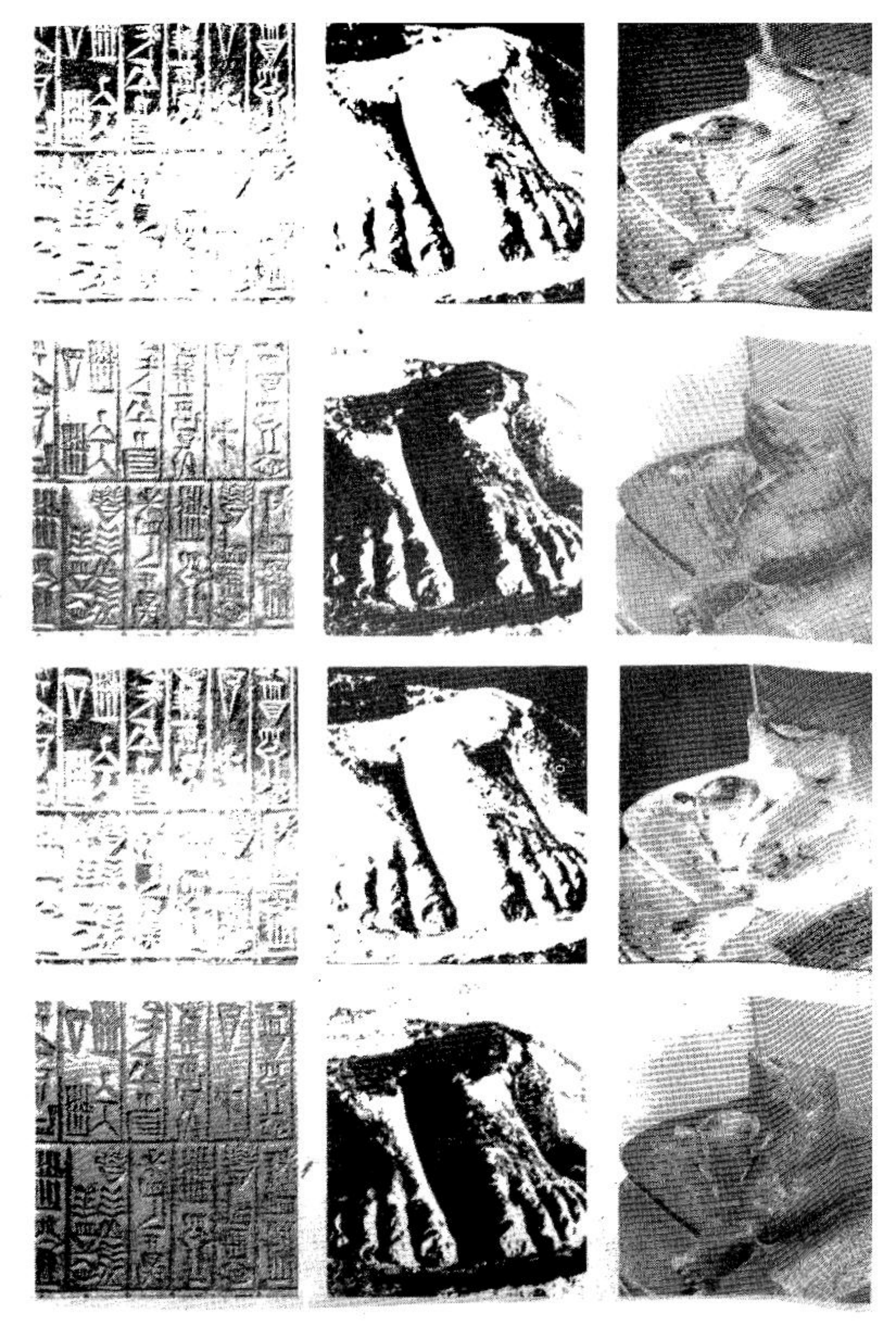
اقدم مصلح في التاريخ

سيصدر قريبا عن الموسوعة الذهبية

سمّورامان

(سمير اميس) اول ملكة في التاريخ الآشوري.





رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١١٦) لسنة

١٩٩١





دار ثقافة الأطفال

الموسوعة الذهبية



السعر دينار واحد